منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (3791) السنة الرابعة عشرة - الأربعاء (30) تشرين الثاني 2016

WWW. almadasupplements.com

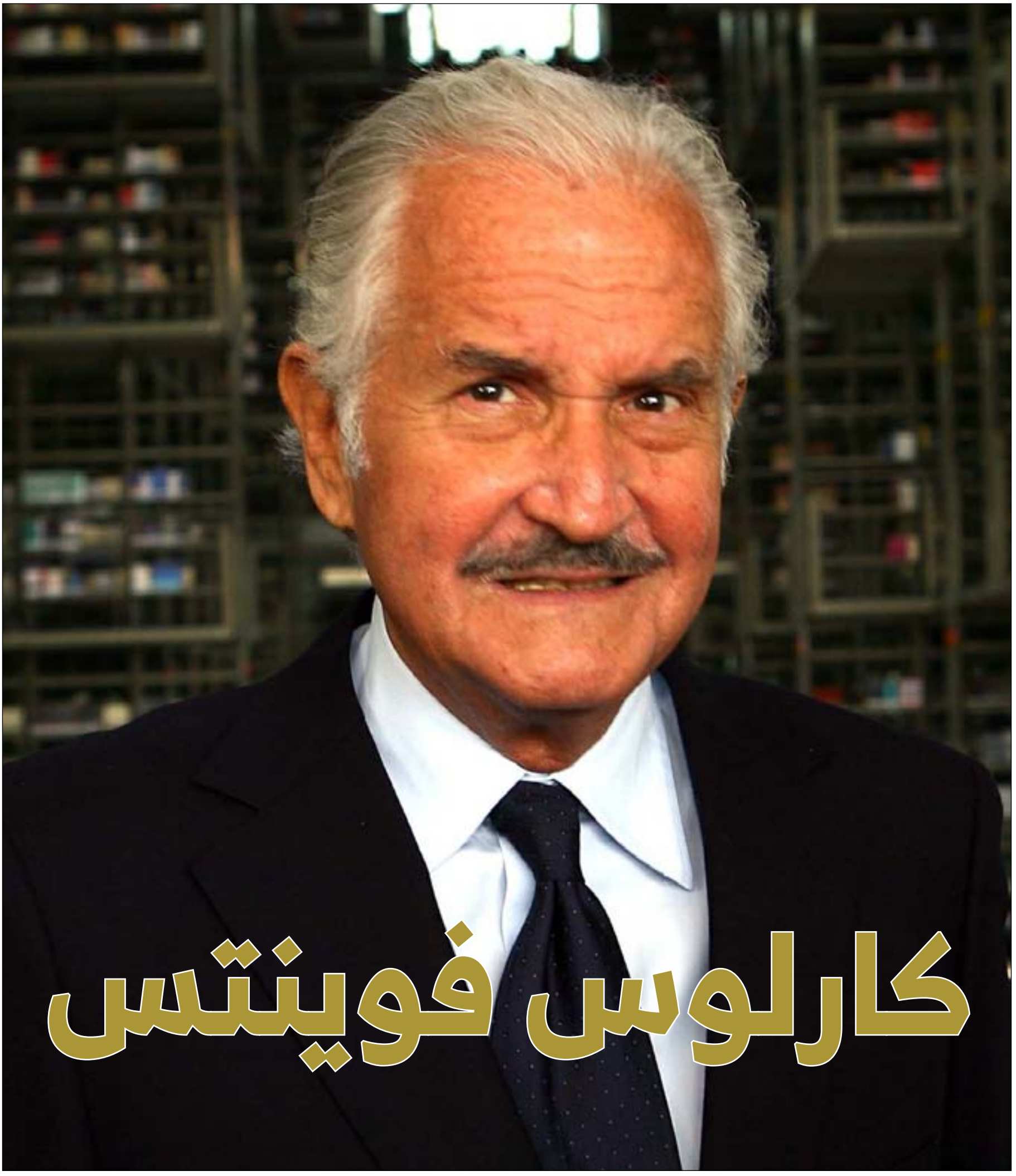

كارلوس فوينتس

كارلـوس فوينتس.. حاور نيتشـه في شرفة منزله قبل رحيله

لم يترك الروائي والكاتب المكسيكي كارلوس فوينتس سيرة ذاتية قبل رحيله عن عمر ناهز الـ٨٣ عاما عن عالمنا في الخامس عشر من هذا الشهر، كما يفعل معظم الكتاب والروائيون الآخرون، لأنه ببساطة كان يكره أن يسرد حياته بنفسه أو من ينوب عنه في ذلك لأن كتبه تتحدث عنه. إلا أن دار النشر المعروفة «ألفاغوارا» صرحت: «فوينتس ترك كتابين جاهزين للنشر، الأول بعنوان (شخصيات)، والآخر رواية بعنوان: (فيديريكو في شرفة منزله) حيث يظهر فيها الفيلسوف الألماني الكبير فريدريك نيتشه في الساعة الخامسة فجرا في شرفته ليتحاور معه الحوار الأخير قبل رحيله». وقد صرح الراحل لصحيفة «إل بايس» الإسبانية قبل رحيله بأيام بالشروع في تأليف رواية جديدة بعنوان «رقص المئوية».

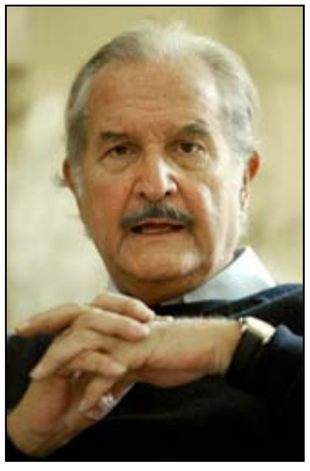

شاكر نوري

كان رحيله مؤثرا ومدويا في العالم أجمع. فقد نعاه الكبار: فيليبي كالديرون رئيس المكسيك، وكونسويلو سايثار رئيسة المجلس الوطني للثقافة والفنون في المكسيك، وماريو فارغاس يوسا، والشعب المكسيكي. وكذلك صديقه الكاتب البيروفي ماريا فارغاس يوسا، الحائز على جائزة نوبل ٢٠١٠ الذي دامت صداقتهما لأكثر من خمسين عاما، وقال عنه: «ترك الراحل وراءه أعمالا ضخمة تشكل شهادة معبرة عن كل المشكلات السياسية الكبرى والوقائع الثقافية لعصرنا هذا.. لن يفتقده أصدقاؤه فحسب؛ بل الكثير من القراء أيضا».

ولد في العام الذي ولد فيه غابرييل غارسيا ماركيز في مدينة اسمها بنما بالمكسيك في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨. وتوزعت سنوات طفولته بين كيتو ومونفيديو وريو دي جانيرو وواشنطن وسانتياغو وبيونس آيرس، متنقلا بين هذه البلدان والمدن بسبب اشتغال أبيه في السلك الدبلوماسي، مما أكسبه معرفة واسعة باللغات والثقافات المختلفة. وربما هذا ما أطلق في نفسيته روح المغامرة والسفر، حتى إنه قبل رحيله بأيام كان عائدا من رحلة استغرقت شهرا للولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والأرجنتين وشيلي، حيث أقامت جامعة جزر البليار الإسبانية آخر تكريم له. وبعد ذلك، توزعت حياته بين مكسيكو وباريس ولندن التي كان يفضل فيها الكتابة. وأينما كان يعيش الكاتب، كانت المكسيك مركز اهتمامه الأول ولأخير، ووصل انشغاله بها إلى حد الهوس كما يقول: «المكسيك بلد الألغاز، وهو شيء جيد لنا لأنه يجعلنا يقظين على الدوام، ونسعى إلى فك رموزه وأسراره. ولكي نفهم البلد، يجب أن نستحضر الثقافة الباروكية، بكل تعقيداتها ومفاجآتها».

درس في جامعات هارفارد وكامبريدج وبرينستون وكولومبيا، وقد حصل على شهادات دكتوراه فخرية من جامعات عدة عبر العالم. وفي عمر ١٦ عاما، عاد كارلوس فوينتس الشاب إلى المكسيك، لكنه التحق بثانوية فرنسية، ثم درس الحقوق في جامعة مكسيكو، ثم ذهب إلى جنيف لإكمال دراسته العليا. وهناك اشتغل في المنظمة العالمية للعمل التابعة للدولة المكسيكية.

بدأ الكتابة في عام ١٩٥٤ ونشر مجموعته القصصية «أيام الكرنفال». وبعدها كتب «المنطقة الأكثر صفاء» ١٩٥٨، و«موت أرتيميو كروث» ١٩٦٢ التي يصفها كاتبها بأنها حوار مرايا بين جوانب شخصية أرتيميو كروث العجوز المحتضر الذي يحاول من خلال الذاكرة ترميم ما تبقى من حياته خلال اثني عشر يوما بمزيج من الواقع والفانتازيا والذاكرة. وتوالت رواياته الأخرى: «منطقة مقدسة» – «تغيير الجلد» – «أرضنا – الغرينغو العجوز» – «كريستوبال نوناتو» – «أورا». ومجاميعه القصصية: «شجرة البرتقال» – «الأيام المقنعة» – «نشيد العميان». إضافة إلى كتبه في النقد الأدبي والتنظير للكتابة الجديدة، والدراما والسيناريوهات والمقالات الصحافية. وظهرت روايته « الغرينغو العجوز» على الشاشة، وأخرجها لويس بونيزو، وقام بتمثيلها كل من النجمين الأميركيين غريغوري بيك وجين فوندا. و«الغرينغو» تشير بشكل عام إلى كل من يتكلم لغة لا يفهمها المتكلمون بالإسبانية وبشكل خاص موجهة إلى الأميركيين. وكتب فوينتس سيناريوهات للسينما مثل «مطاردة الإنسان»، خصيصا للمخرج الإسباني لوي بونويل، لكنه لم ير النور على الشاشة أبدا، والتي اقتبسها من رواية أليخو كاربنتر. في أواخر الثلاثينات، تأثر فوينتس بفيلم هنري فوندا «عناقيد الغضب»، وما حمل من تصورات حول سنوات الأزمة الاقتصادية وتأثيراتها الاجتماعية آنذاك.

تأثر فوينتس كثيرا بسرفانتس وشخصية دون كيشوت، وشكسبير وبالروائيين الأميركيين الشهيرين: دوس بابوس، وفولكنر. في منتصف الخمسينات، أسس مع أكتوفيو باث «المجلة المكسيكية للآداب» ودار نشر باسم «سيغلوا القرن الـ٢١». بدأ في شيلي بقراءة غابرييل ميسترال وبابلو نيرودا وأدرك حينها أنه لا يمكن فصل «الأدب عن السياسة». وفي الأرجنتين، رفض متابعة الدروس بسبب صعود الفاشية العسكرية إلى السلطة. ثم سرعان ما توجه إلى الأدب واكتشف الحب والتانغو وبورخيس. «منحني بورخيس الدرس المباشر والكبير، وتعلمت أن الشيء الأساسي في أدبي هو أن الماضي يتجدد على الدوام». لم يكتف في روايته الشهيرة «الغرينغو العجوز» بالشخصية التاريخية أمبروس بيرس، بل أضاف إليها الشخصية المتخيلة «الغرينغو العجوز»، على ضوء الثورة المكسيكية ١٩١٠ ليقول للقارئ إن ثمة حقيقة أكثر ثراء يبدعها الفن؛ هو المزج بين ما هو تاريخي وما هو متخيل. هكذا تولد الرواية الثورية حقا، كما يقول صديقه، خوليو كورتاثار، بأن الرواية لا تعبر عن الثورة بالشعارات المباشرة واللغة التقريرية، ولا تكتفي أن يكون لها مضمون ثوري، بل يجب عليها تثوير شكل الرواية. كان فوينتس لصيقا بلغته الأم التي لا يفارقها في الكتابة، مبررا ذلك بأن «هناك أشياء لا يمكن التعبير عنها إلا بالإسبانية».

لم يمنعه إنتاجه الأدبي، مثلما فعل والده، من خوض العمل الدبلوماسي، وفي فترة ما كان قريبا من فيدل كاسترو، وعضوا في الحزب، معتبرا عمله الدبلوماسي ينصب في خدمة اليسار. وشغل منصب سفير المكسيك لدى فرنسا من عام ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧. وقد قلده الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران وسام «جوقة الشرف» في ١٩٩٢. وكانت له علاقات مميزة مع فرنسا، معبرا عنه بقوله: «بالنسبة لنا، نحن الأميركيين اللاتينيين، تمثل فرنسا على الدوام نقطة توازن بين إسبانيا الجنوبية الرجعية صاحبة محاكم التفتيش، والشمال البارد والمادي». إلا أنه تنازل عن منصبه احتجاجا على تعيين الرئيس المكسيكي الأسبق دياث أورداث سفيرا للمكسيك لدى إسبانيا وهو المسؤول عن مذبحة الطلاب في تيلاتيلوكو. كان يؤمن بأن «الكاتب الأديب يجب عليه دائما أن يقول أشياء إضافية، وأن يذهب أبعد مما يبلغه السياسي لأنه يستطيع أن يتخيل، بينما في المقابل السياسيون ممن يملكون خيالا وتفكيرا قليلون».

تدور معظم أعماله حول الأفكار التالية: العلاقة بين أوروبا وأميركا، صلة التاريخ بين الماضي والحاضر، الأساطير الكبرى للإنسانية، التمازج الثقافي، حلقات الزمن. في روايته «ابتسامة ايراسيم» ١٩٩٠، على سبيل المثال، يوضح الكاتب أن «حداثة أميركا تظهر من خلال عودتها إلى الماضي». وفي رواية «المرآة المدفونة» ١٩٩٢ يركز على إشكالية التاريخ والحضارات. وفي روايته «سعادة العائلات» ٢٠٠٩ يمزج الكاتب بين فكرتي الزمن والعنف. وفي رواية «أرضنا» لا يمكن العثور على السعادة. الكتابة بالنسبة لفوينتس شيء خارق، كما يقول: «يجب الخوف كثيرا من الكتابة، فهي ليست بعمل يأتي بشكل طبيعي مثل الأكل أو ممارسة الحب. فهي، نوعا ما، عمل مخالف للطبيعة. كما لو أننا نقول للطبيعة إنها لا تكفي، ويجب إقامة واقع آخر هو المتخيل الأدبي». ولعل من أعظم رواياته «أرضنا» التي يستعيد فيها الكاتب أكثر من ٢٠٠٠ عام من تاريخ المكسيك حتى أطلق عليها «أسطورة بانورامية للإبداع الإسباني الأميركي». وبذلك، ألقى نظرة ناقدة على المجتمع المكسيكي المعاصر لأكثر من نصف قرن.

وعلى الرغم من حبه الجامح لبلده، فإن البلد خيب أمله كما صرح بمرارة لمجلة «لير (اقرأ)» الفرنسية في ٢٠٠٩ قائلا: «كنت أستطع الخروج إلى مقاهي المكسيك وأماكنها الأخرى حتى الساعة الثالثة صباحا وأعود بهدوء إلى بيتي سيرا على الأقدام. أما اليوم، فإنني لا أستطيع حتى المغامرة بالخروج لوحدي إلى أبعد من زاوية الشارع الذي أسكن فيه. يجب الإسراع في إيجاد حداثة مكسيكية تحتوي على القانون والعدالة. ولكن ذلك يتطلب وقتا طويلا قد لا أعيش لكي أرى نتائجه». وكان من الكتاب القلائل الذين يتحدثون عن السياسة ولكن بشكل عميق، من خلال ارتباطها بالوجود الإنساني، فقد نبه إلى الانفجار السكاني الذي تشهده المكسيك؛ إذ ازداد عدد سكانها من ٢٠ مليونا إلى ١١٠ ملايين نسمة، ويعاني أهلها من الظلم الاجتماعي والبؤس وانتشار المخدرات. كان يساريا، وقد أدان بقوة سياسة الرئيس الأميركي جورج بوش، الذي كرس له سلسلة من المقالات جمعها تحت عنوان «ضد بوش» في ٢٠٠٤. ولم يسلم نظام الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز من انتقاداته؛ إذ وصف هذا الأخير بأنه «مهرج» و«أسوأ» رئيس في المنطقة. كان حاد الطباع، قاسيا في آرائه، يحب الحديث والسيطرة على جمهوره، وبالنسبة للمكسيكيين كل نقاش هو صراع حاد ومسألة حياة أو موت؛ ويعتبر فوينتس أحد أقطاب تيار السرد اللاتيني ومحركيه في ستينات القرن الماضي مع ماركيز وبيوسا وكورتاثار ودونوسو، وهو أكثرهم إنتاجا وأقلهم نصيبا في الترجمة إلى العربية؛ إذ كتب أكثر من ٦٠ كتابا بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والسيناريوهات والكتب الأخرى. وحاز اعترافا أدبيا عالميا قل نظيره. وكان المرشح الدائم لجائزة نوبل دون أن يفوز بها رغم حصوله على عدد من الجوائز التكريمية والأدبية من مختلف بلدان العالم؛ منها جائزة «سيرفانتيس» في الآداب الإسبانية (١٩٨٧)، وجائزة «أمير أستورياس» في الآداب (١٩٩٤)، والجائزة الوطنية المكسيكية (١٩٨٤).. وسواها من الجوائز الأخرى.

لم تكن حياته الشخصية معبدة بالزهور، كما يقال؛ إذ تزوج فوينتس من الممثلة المكسيكية ريتا ماسيدو، وافترقا في السبعينات، وتزوج مجددا من الصحافية سيلفيا ليموس، وقد توفي ولداه كارلوس رافاييل وناتاشا في سن الخامسة والعشرين والثانية والثلاثين على التوالي بسبب المرض ولأسباب مجهولة.

لماذا نجهل كارلوس فوينتس؟

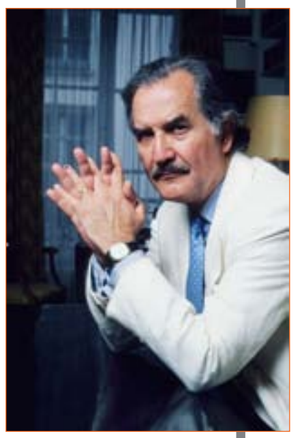

كان الكاتب اللبناني محمد عيتاني أول من عرّف القراء العرب الى الروائي المكسيكي كارلوس فوينتس عندما عرّب روايته الشهيرة "موت أرتيميو كروز" عام ١٩٨٤ وصدرت في سلسلة "ذاكرة الشعوب" التي كان يشرف عليها الروائي الياس خوري في "مؤسسة الأبحاث العربية". تأخرت المكتبة العربية في التعرّف الى هذا الروائي الأميركي-اللاتيني الكبير، على خلاف ماركيز مثلاً أو بورخيس أو حتى خوركي أمادو. وعلى رغم ترجمة عيتاني هذه الرواية البديعة عن الفرنسية فهي بدت جميلة في صيغتها العربية التي أولاها هذا القاص كثير اعتناء سواء في سبكه لغتها السيّالة أصلاً أم في الحفاظ على نَفَسها السردي الطالع من صميم الراوي الذي يتولى فعل السرد حتى وهو على فراش الاحتضار. ولعلّ المترجم وفق كثيراً في الصفحات الأولى التي يستهل فيها أرتيميو العجوز رثاء نفسه بعدما أنهكه المرض وجعله بقايا شخص كان أشبه بـ"دون كيشوت" قبل أن تغدر به الحياة التي كثيراً ما غدر بها.

كان يجب الانتظار أكثر من عشرة أعوام كي تترجم رواية ثانية لكارلوس فوينتس الى العربية، والرواية هي "الغرنغو العجوز" وقد تصدّى لها الروائي الأردني الياس فركوح ناقلاً إياها عن الإنكليزية وصدرت عام ١٩٩٥ عن دار صغيرة هي "منارات" سرعان ما أقفلت أبوابها. ولم تمرّ أعوام حتى شهدت القاهرة ترجمة جديدة لرواية "موت ارتيميو كروز" عن اللغة المكسيكية وقد أنجزها أحمد حسان وأصدرها المركز القومي للترجمة. لم تلق هذه الترجمة الصدى الذي لاقته ترجمتها الأولى عربياً، مع أنها أشدّ وفاءً للأصل، ولعلها لم توزّع جيّداً مما أفقدها فرصة التعريف بهذا الكاتب الكبير.

لم يحظ كارلوس فوينتس في العالم العربي إذاً بالرواج الذي حظي به رفاقه في الحركة الروائية الأميركية اللاتينية، ظلّ هو على هامش هذا الرواج، ولم يترك بالتالي الأثر الذي تركه ماركيز أو بورخيس على سبيل المثل، مع أنّ أعماله تحمل خصائص سردية فريدة تناولها نقاد أوروبيون وفرنسيون خصوصاً، وكان في إمكان مثل هذه الخصائص أن تكون مثار سجال روائي ونقدي. لكنّ ما لا يمكن تجاهله هو الأثر الخفي، وربّما البيّن، الذي تركته رواية "موت أرتيميو..." في بعض الروائيين الذين اعتمدوا تقنية "تيار الوعي" ولعبة الراوي الذي يستعيد ماضيه كما لو أنّه يسترجع كسور مرآة محطمة انطلاقاً من لحظة الاحتضار التي تغدو طويلة أو قصيرة بصفتها لحظة أبدية. ولعل أكثر ما ميّزه عن رفاقه الروائيين الأميركيين اللاتينيين هو تخففه من "الواقعية السحرية" وخلقه معادلة فريدة بين الواقع والمتخيل، معادلة هي واقعية بقدر ما هي متخيّلة.

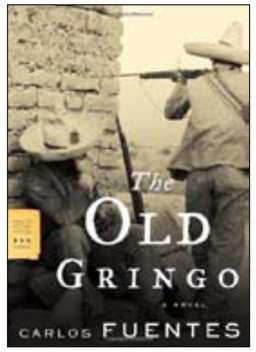

اللافت هو الترحاب الإعلامي والنقدي الذي لقيه فوينتس في فرنسا بصفته روائياً أولاً ثمّ ديبلوماسياً، عطفاً على كونه كاتباً سياسياً، صاحب مواقف جريئة وآراء ساخرة ولاذعة في سخريتها، ومن كتبه البارزة في هذا الميدان كتابه "ضدّ بوش" الذي يهجو فيه الرئيس الأميركي السابق وسياسته "الحمقاء". ولم يسلم رؤساء كثر من نقد هذا الكاتب الذي يصر على نزعته اليسارية حتى بعد سقوط اليسار العالمي ومنهم مثلاً الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز الذي وصفه مرّة بـ "المهرّج". ولم يكن مفاجئاً أن يرثيه الرئيس الفرنسي المنتخب حديثاً فرنسوا اولاند وسواه من السياسيين الفرنسيين، وكان الرئيس الراحل فرانسوا ميتران منحه عام ١٩٩٢ وسام جوقة الشرف.

لم يفز كارلوس فوينتس بجائزة نوبل التي كان مرشحاً دائماً لها، لكنّ شهرته العالمية بدت أشدّ رواجاً ممّا لوفاز بها، فهو من أكثر الكتاب الأميركيين اللاتينيين ترجمة وانتشاراً في العالم. ولعل الشهادة التي أدلى بها الروائي البيروفي ماريو فارغاس يوسا غداة وفاته تعبر فعلاً عن مكانة هذا الروائي الكبير، ومما قال يوسا فيه: «ترك فوينتس أعمالاً ضخمة تشكل شهادة معبّرة عن كل المشاكل الكبرى التي يعرفها عصرنا هذا".

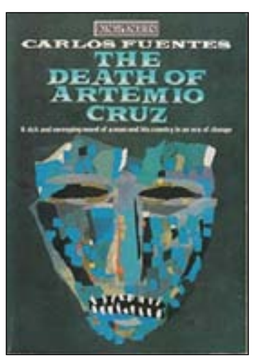

عن الحوار المتمدن

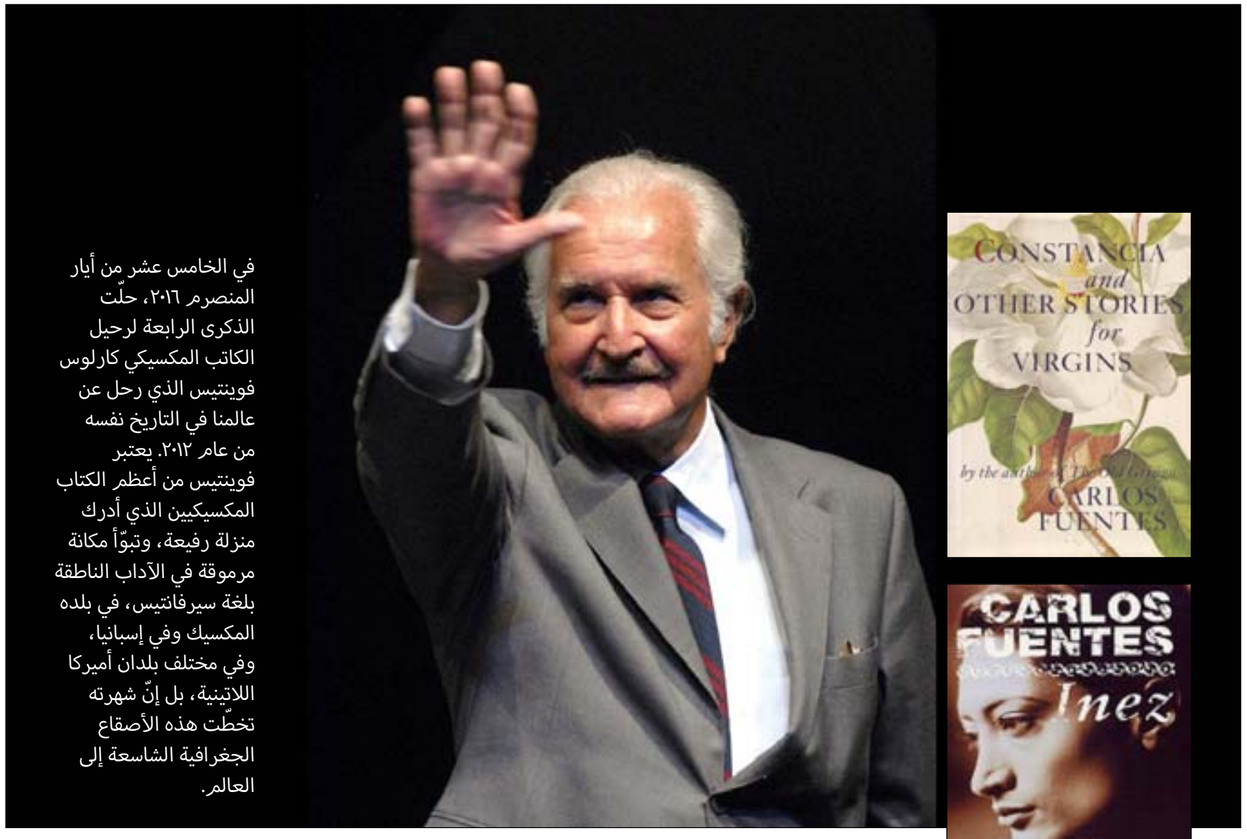

في الخامس عشر من أيار المنصرم ٢٠١٦، حلّت الذكرى الرابعة لرحيل الكاتب المكسيكي كارلوس فوينتيس الذي رحل عن عالمنا في التاريخ نفسه من عام ٢٠١٢. يعتبر فوينتيس من أعظم الكتاب المكسيكيين الذي أدرك منزلة رفيعة، وتبوّأ مكانة مرموقة في الآداب الناطقة بلغة سيرفانتيس، في بلده المكسيك وفي إسبانيا، وفي مختلف بلدان أميركا اللاتينية، بل إنّ شهرته تخطّت هذه الأصقاع الجغرافية الشاسعة إلى العالم.

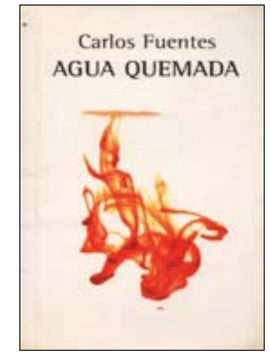

كارلوس فوينتيس في ذكرى رحيله الرابعة...

إشكالية الهوية المكسيكية بين التاريخ والرواية

محمد الخطّابي

حاول كارلوس فوينتيس في مختلف أعماله أن يقدّم للقارئ تفسيرات، ورموزا، وأبعاداً، لأساطير العالم الأميركي اللاتيني القديم السابق للوجود الكولومبي في هذه القارة، فيبدأ بفصل من كتابه «الأيام المصنّعة» ١٩٥٤ ثمّ ينتقل إلى رواية «الجهة الأكثر شفافية» ١٩٥٨ ثم تواجهنا نصوص ترجع بنا إلى كتابه «موت أرتيميذو كروث» ١٩٦٢، و«غنائية العميان» ١٩٦٤، و«أرضنا» ١٩٧٥، و«جرينجو العجوز» ١٩٨٥، التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي، و«أيام مع كورا رياث» ١٩٩٩. وفي حالة واحدة وهي كتابه «المرأة الدفينة»، يخبرنا فوينتيس أنّ مضامين هذا الكتاب قد تمّ توسيعها، حيث تطفو على سطح هذه النصوص جميعها مواضيع ومشاهد وأحداث لها صلة بهذا البلد الأميركي اللاتيني الكبير، وهو في طور التكوين خلال «الاكتشاف»، فضلاً عن معالجته لإشكالية اللغة والهوية فيه، وفي مختلف مناطق، وأصقاع بلدان القارة الأميركية البكر.

ولكارلوس فوينتيس كتاب آخر تحت عنوان «شموس المكسيك الخمس» وهو نوع من الأنطولوجيا أو دراسة مستفيضة حذا فيها حذو كتاب آخرين من أميركا اللاتينية أمثال ألفونسو ريجيس، وأوكتافيو باث، وإدواردو غاليانو، وميغيل أنخيل أستورياس، وسواهم، وكان الهدف من وراء وضعه هذا العمل الأدبي، اكتشاف روح المكسيك، واستكناه أمجادها، واستبطان أعماقها، واستغوار أساطيرها، وتسليط الأضواء على تاريخها ومعاناتها، بدءاً بعالم الأزتيك والمايا، حيث يأخذنا فوينتيس في جولات تاريخية، نقدية، تحليلية لمختلف الأساطير القديمة في بحور تاريخها الضاربة في القدم، وتأمّل أهراماتها الشاهقة التي أقامها شعب المايا الذين أصبحوا بعد «الاكتشاف» أو بمعنى أصحّ بعد الغزو يؤلفون مجتمعاً مركباً تركيباً معقداً، ومجزّءاً في وقت واحد، وهم يدخلون عالم الثورة المعاصرة. مشاهد تترى وتتوالى نصب أعيننا من الدم، والموت، والدمار، والظلم، والقتل، والتنكيل، وحرق البشر، وتعذيبهم منذ وصول الإسبان إلى ما أصبح يعرف بـ«العالم الجديد»، ويطلق المؤلف على ذلك مصطلح «ضد الاكتشاف» أو «الاكتشاف المناقض أو المناهض للاكتشاف». ويشير كارلوس فوينتيس إلى أنّ غارات كتائب «سانشو فييا» في شمال البلاد، ومحاربي «إميليانو زاباتا» في الجنوب، جاءت ردّ فعل عنيفاً على موت «شمس المكسيك الخامسة»، حيث مات معها العالم المكسيكي للسكان الاصليين الهنود أرباب الأرض. وهذه الشموس الخمس التي يتحدّث عنها فوينتيس ويوظفها في أعماله الإبداعية مستمدّة من الأساطير المكسيكية القديمة.

أن تجعله بالماضي أن تجعله حيّاً نابضاً

ويخبرنا كارلوس فوينتيس في كتابه أنه عندما كان يحاضر في جامعة «هارفرد» الأميركية كان يحدّث تلامذته الأميركيين عن تاريخ المكسيك القديم وسكّانها الأصليين، فكان يعود بهم إلى تاريخ الإغريق والرومان فكانوا يقولون له: لماذا تذهب بعيداً؟ فكان يسألهم إذن متى يبدأ التاريخ بالنسبة إليهم؟ فكانوا يجيبون جميعاً: إنه يبدأ عام ١٧٧٦ أي أنّ تاريخهم في منظورهم يبتدئ بعد الاستقلال، استقلال أميركا، وقبل ذلك فليس هناك تاريخ.

إنّ التاريخ حسب فوينتيس يقوم على المنطق، في حين أنّ الأدب ينطلق من المشاعر والأحاسيس، والأدب يسمح للشعوب بل يحثّها على أن تحلم بماضيها، والحفاظ عليه حياً نابضاً أمامها.

كان القرن العشرون، كما يبين فوينتيس هو تاريخ البحث المضني عن الماضي البعيد، ومحاولة تكييفه مع الواقع الجديد، أي استرداد الهوية الضائعة بعد القطيعة التي أحدثتها التدخلات الأجنبية إسبانية كانت أم فرنسية أم إنكليزية أم أميركية، التي كانت تقدّم وجبات جاهزة لجمهوريات نيسكافية!، أي «ديمقراطيات» حسب النموذج الغربي التي لا تتوافق ولا تستجيب لمطالب، وتطلعات بلدان أميركا اللاتينية المكلومة والمعذبة.

وكان لزاماً على هذه البلدان أن تبحث عن هويتها الضائعة التي تجسّدت في كتابات كبار كتّابها ومبدعيها، ولكن بعد بحث مضن استمرّ زهاء خمسة قرون، أي بعد أفول خمس شموس في لغة السكان الأصليين.

وبخصوص المزج بين الرواية والتاريخ في كتابه يشير كارلوس فوينتيس إلى طرفة وقعت للكاتب الكولومبي الراحل غابرييل غارسيا ماركيز، والروائي فيرديك فورسايت بخصوص رواية هذا الأخير «ابن أوى»، فقد هنّأ ماركيز فورسايت على روايته ولكنه حذّره من: «أنّ الكتاب يتضمّن خطأ فادحا. فسأله فورسايت: ما هو؟ فأجابه ماركيز: أنّ ديغول لم يقتل. فأردف فورسايت قائلاً: حقّاً إنّ الجنرال ديغول قد خرج بسلام من عملية الاغتيال، فقال صاحب «مئة سنة من العزلة» عندئذ: آه، ولكن إذا كنت قد قلت في روايتك أنهم قتلوه بعد مرور مئة سنة فتلك ستكون الحقيقة.

وقال فوينتس إذا كان الكاتب الفرنسي ميشيليت قد قال: إنّ الشعب له الحقّ في أن يحلم بمستقبله، فإنّني أقول إنّ الشعب له الحقّ كذلك أن يحلم بماضيه كذلك. أن تحلم بالماضي، أن تجعله حيا نابضاً أمامك. فوينتيس مقتنع بهذا المعنى فليس هناك حاضر حي، ولا ماض ميت.

فوينتيس المثقل بالهواجس والانشغالات

إننا واجدون في مجموعة قصصية للكاتب كارلوس فوينتيس بعنوان «كونستانسيا وقصص أخرى للعذارى»، فوينتيس السريالي، وهو يعانق أبا السريالية أندريه بريتون، منذ قصصه الأولى التي تناول فيها إشكالية الهوية المكسيكية مثلما عمل كل من أوكتافيو باث، وصمويل راموس، كما نجد في هذه المجموعة فوينتيس المثقل بالهواجس، والقلق والهموم والانشغالات التي صاحبته في مختلف مراحل عمره، وتفجّرت في مختلف إبداعاته وأعماله، فنلتقي بالتالي بالموت، ومدينة مكسيكو سيتي، والشرائح الاجتماعية المختلفة، ونوازع الخير والشرّ، ومظاهر التظلم والمعاناة.

اتّسمت نظرة فوينتيس في هذه المجموعة بالجدية والتجديد، وقد راعى فيها التحوّلات السياسية والاجتماعية للمجتمع المكسيكي والأميركي والإسباني. وهو يتناول هذه التحوّلات بالتحليل الدقيق ليس للأوساط والثقافات المذكورة وحسب، بل بمقدرته الفائقة على تعرية أوجه ثقافات أخرى ورصد ملاحظات ذكية، سواء فيما يتعلق بأفراد أو جماعات أو بلد أو قارة، العنوان في حدّ ذاته «كونستانسيا وقصص أخرى للعذارى» يبين أنّ المرأة تشكل عنصراً مهمّاً فيها، وهكذا نجد كونستانسيا تتأرجح بين الحياة والموت، كما نجد المرأة تموت في قصة «أمير لوماس» أما قصّة «عاشت سمعتي» فتقدّم لنا نصّاً أكثر قلقاً واحتداماً، وأبعد عمقاً ضمن المجموعة. المرأة إذن في هذه القصص مسكونة بالموت ليس كمصير فردي محتوم، بل كعنصر متّصل. فالموت هو التفصيل المباشر للحياة أو الجانب الآخر لها. كما تولي المجموعة قيمة كبرى وأهمية قصوى للمعارف الغيبية. إلى جانب العلم، تلك المعارف لا تأتينا من إعمال العقل المباشر، بل من الجوانب العميقة أو الدفينة فينا، أو من ماضينا البعيد أو من تاريخنا الغابر السحيق الذي أسدل الغرّاة عليه ستائر النسيان.

ويعتبر عنصر الزمن في هذه القصص جانباً ذا أهمية خاصة في هذه القصص، وليس المقصود هنا بالزمن الوقت المتوالي المنصرم، بل إنّه زمن لا يخضع للقوانين الفيزيائية، ولا يتصاع للنواميس الطبيعية. فالأمس يلج في اليوم محطماً كل الحواجز، وهذا المزج يخلق جوّاً من الغموض والإبهام والحيرة والتساؤل والسحر، ويظهر لنا هذا بشكل جلي في قصة «عاشت سمعتي» إذ نجد فيها شخصيتين تاريخيتين متباعدتين في زمن وجودهما روبين أوليفيا في القرن العشرين و بيدرو روبيو في القرن الثامن عشر يلتقيان في وقت ما من الزمن. كما نجد كونستانسيا في القصة تحمل الاسم نفسه، مع أنها تنتمي إلى زمنين متباعدين كذلك، زمن الحرب الأهلية الإسبانية، والزمن الحاضر. كارلوس فوينتيس وكأني به يطرح علينا في هذه النصوص التساؤل التالي: هل يوجد في الأمس نذب ينبغي لنا التكفير عنه؟

بين كارلوس فوينتيس وخوان رولفو

عندما صدر كتاب كارلوس فوينتيس الذي يحمل عنوان «العالم الجديد الشجاع» الحماسة، الخيال، والأسطورة في الرواية الأميركية اللاتينية بعث الكاتب المكسيكي «غيابا تيستافيكو» برسالة إلى فوينتيس يعاتبه فيها عن بعض الآراء الواردة في نصوصه حول الكاتبين المكسيكيين الكبيرين خوان رولفو وماريانو أسويلا، حيث لم يكن رولفو يخفي غيضه بشأن بعض هذه الآراء التي كان يراها متطرفة في الغلوّ حول بعض أعماله وأعمال أسويلا، تيستافيكو كان يعتقد أن فوينتيس عندما أفرد في هذا الكتاب ما ينيف على عشرين صفحة من النثر الوضّاء حول رواية «بيدرو بارامو» الشهيرة لرولفو التي حققت نجاحا منقطع النظير انزعج هذا الأخير قائلا: لقد حوّل فوينتيس «بارامو» إلى شخص رومانتيكي يموت نتيجة الجرح الذي فتحه في حبّه المستحيل لـ«سوزانا سان خوان»، لقد راقني هذا الاجتهاد، إلا أن ذلك غير صحيح، فبيدرو بارامو إنما قتله في العمق عداؤه لنفسه ذاتها، إنه رجل يكره الجميع، وهذه الكراهية التي تغلغله انقلبت ضدّه فيقتل فوق الأرض نفسها التي طالما زرع فيها بذور الشرّ والأحقاد والضغينة على امتداد عقود من القساوة والتسلّط والإستبداد، ويعتب رولفو عن الخيالات والشطحات والتوهّمات المتشابهة في نصوص فوينتيس، إذ هو لا يمكن أن يكون بالضرورة عالما بشؤون التربية والأمراض التي تفتك بالإنسان، إلى جانب علوّ كعبه في الفنّ الروائي. كما ذهب فوينتس في هذا الكتاب إلى أن رواية «القاطنون في الأسفل لماريانو أسويلا» هي «ذات حماسة منحطة»، فهي تكرّر الحماسة على طريقة الفارس القشتالي نفسها «السيد»، القرن الحادي عشر وكان خوان رولفو يستشيط غضباً، إذ لم يكن يؤمن بأنّ «أسويلا» يمكنه قول ذلك، فهو أبعد ما يكون عن هذا الهراء أو الوقوع في هذا الإسفاف، يذهب فوينتيس في كتابه إلى القول: إن «سانشو فييا» يظهر أو يبدو في «القاطنون في الأسفل» مثل «السيد» من نوع جيد أو مثل نابليون مكسيكي، في الوقت الذي يقول فيه أن «فييا» إنما هو صقر أزتيكي ينقضّ ويغرس منقاره الفولاذي في رأس الأفعى «فيكتوريا نوويرتا» والمغزى هنا ذو سخرية عميقة، فأسويلا في الواقع إنما كان يضع قدميه في حقل ملغوم لمواجهة أنصار «فييا» الذين كانوا يسيطرون على مدينة «خواريز» ولا يتعلق الأمر بإزاحة أصنام أو استبدالها بأخرى، وإنما كان أسويلا يساهم في تأجيج أوار الثورة وزيادة إضرامها، وكان فوينتيس خاطئاً. هذا ما قاله القاصّ البارع رولفو نفسه عندما كان على قيد الحياة توفي ١٩٨٦.

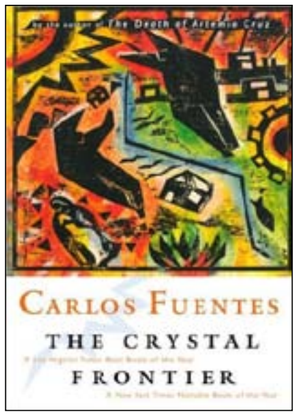

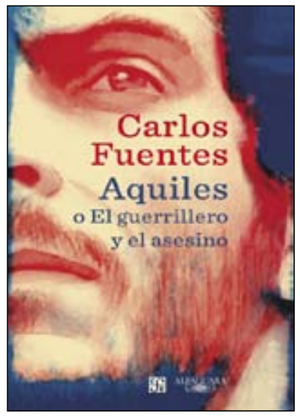

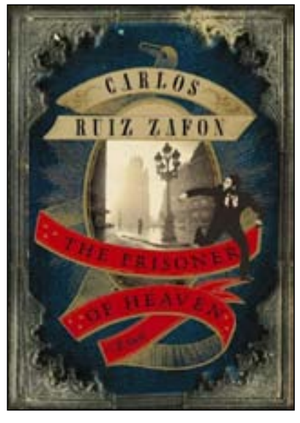

الشاعر بابلو نيرودا... صوت الشعب

كان كارلوس فوينتيس يعتبر شيلي ليس موطن الشعراء المجيدين في أميركا اللاتينية وحسب أمثال: ويدوبرو، ميسترال، نيرودا، بارا، روخاس، بل إنه موطن كبار الروائيين كذلك أمثال دونوسو، إدواردز، دورفمان، فوجيت، وفرانز. يخبرنا فوينتيس أنه يشعر بمحبة وميل كبيرين لشيلي ليس فقط على إعتبار هو موطن خلّه الأثير الشاعر الكبير بابلو نيرودا، بل بحكم أنه عاش فيه ردحاً من الزمن، خاصة إبّان سنوات عمره الأولى كما يقول، عندما كان عمره يتراوح بين ١١ و١٥ سنة، وفي هذا البلد نشر أولى نصوصه الأدبية المبكرة حول شخصيات أدبية وتاريخية مروقة في تشيلي منها فرانسيسكو بيلباو الذي كان أوّل من استعمل مصطلح أميركا اللاتينية عام ١٨٥٧. ويشير فوينتيس أنه خلال هذه الفترة من حياته إلتهم العديد من الكتب والدواوين لكبار الشعراء التشيليين في مقدّمتهم بسينتي ويدوبرو، وغابرييلا ميسترال وهي المرأة الوحيدة التي حصلت على نوبل في الآداب في أميركا اللاتينية عام ١٩٤٥ وكان بول فاليري هو الذي كتب مقدمة الطبعة الفرنسية لديوانها الشعري الصادر عام ١٩٤٦.

ويصف فوينتيس الشاعر بابلو نيرودا بأنه أعظم شاعر في القرن العشرين، في العالم الناطق باللغة الإسبانية. ويحكي لنا طرفة عن مدى تغلغل نيرودا في الأوساط الشعبية التشيلية، فيقول أنه كان ذات مرّة يتجوّل على ضفاف نهر «بيوبيو» وعندما بدأ الليل يرخي سدوله، رمق مجموعة من العمّال مجتمعين حول نار مشتعلة فتناول أحدهم قيثارة وبدأ يعزف، ثم إنطلق صوت عامل آخر وطفق ينشد مجموعة من أشعار نيرودا على شرفّ أحد المناضلين من أجل إستقلال تشيلي، فدنا منهم فوينتيس، وقال لهم: لا بدّ أنّ الشاعر نيرودا كان سيسرّ كثيراً إذا علم أنكم تغنّون أشعاره، وأمام ذهوله وذهولهم قالوا له: أي شاعر؟ فهم لم يكونوا يعرفون أنّ هذه الأشعار من نظم نيرودا، وهنا تأكّد لفوينتيس مدى تغلغل هذا الشاعر المجيد في شرائح الشعب التشيلي على إختلاف طبقاته، والذي تحوّلت أشعاره إلى صوت جماعي متواتر يحفظه ويردّده الشعب عن ظهر قلب مثل الحكم السائرة، والأمثال المأثورة.

ماذا قال فوينتيس عن الأندلس؟

في مجال التأثير العربي والإسلامي في إسبانيا يقول كارلوس فوينتيس في كتابه «سيرفانتيس أو نقد القراءة» الصادر عن دفاتر خواكين موريتيس ميكسيكو سيتي ١٩٧٦: «أنه من العجب أن نتذكر أنّ الثقافة الهيلينية وكبار المفكرين الرومان الضائعين عملياً في المناطق الأوروبية قد إستعادوا مواقعهم، وحفظت أعمالهم بفضل ترجمتها إلى اللغة العربية، فضلاً عن العديد من الإبتكارات العلمية والطبية، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا مريضة، ويتمّ علاجها بواسطة التعزيم، والرقية، والتعويذ، والتمائم»، ويضيف: «فعن طريق إسبانيا المسلمة أدخلت إلى أوربا العديد من أوجه التأثيرات الهندسية المعمارية الموريسكية، حيث أصبحت فيما بعد من العناصر المميزة لخصائص الهندسة القوطية». وعندما يتحدّث كارلوس فوينتيس عن هذا الموضوع فإنه يضع أمامه العديد من نماذج المعمار في بلاده المكسيك التي ظهرت فيها الخصائص ذاتها التي تستمدّ أصولها من المعمار العربي- الأمازيغي- الإسلامي الذي أكّدته بالحجج، والأدلة، والبراهين الكاتبة المكسيكية الراحلة من أصل سوري إكرام أنطاكي في كتابها الشهير «الثقافة الثالثة». قال عنه صديقه، وصديق غابرييل غارسيا مركيز الكاتب الكولومبي الكبير ألفارو موتيس عند رحيله: «إن وفاته كارثة عظيمة بكل المقاييس»، وصرّح مسؤول عن دار النشر المعروفة «ألفاغوارا» أنّ فوينتيس ترك كتابين له جاهزين للنشر، الأوّل تحت عنوان «شخصيات» والآخر رواية بعنوان: «فيديريكو في شرفة منزله» وهو عبارة عن حواريات مع فيرديك نيتشه، وقال عن وفاته كذلك العالم «رينيه دروكر»: إن فقدانه ضياع رجل عظيم، لقد كان له تأثير كبير في مختلف الأوساط في بلده وخارجها ليس في مجال الأدب وحسب، بل في السياسة أيضاً إذ كان لمواقفه كمفكر تقدّمي أبعد الأثار، كان من أبرز رجالات المكسيك في العقود الستة الماضية».

ويرى «دروكر» أن كتابي كارلوس فوينتيس «الجهة الأكثر شفافية» و«شموس المكسيك الخمس» يعتبران من أعظم أعماله الأدبية، بل هناك من يعتبرهما قمّة من القمم الأدبية في المكسيك في العصر الحديث، ولا عجب فكارلوس فوينتيس هو حجر الأساس ليس في الأدب المكسيكي وحسب، بل في تاريخ الأدب قاطبة».

كان فوينتيس بالفعل في عيون النقّاد والدارسين من مختلف البلدان من أهم الروائيين في المكسيك وفي أميركا اللاتينية في القرن العشرين على الإطلاق، وتعتبر أعماله الروائية والنقدية أساسية في تاريخ بلاده المكسيك وفي إسبانيا، لقد خلّف لنا ما يربو على عشرين رواية، وعددا من الدراسات الفكرية، والنقدية، والأدبية، والتاريخية. كان كارلوس فوينتيس قد تقلّد عام ١٩٧٥ منصب سفير لبلاده المكسيك في فرنسا، ثم سرعان ما طلب إعفاءه من هذا المنصب عام ١٩٧٧، احتجاجا على سياسة بلاده التي لم تكن تتماشى مع فكره الحرّ، ولا تنسجم مع مبادئه، وقيمه.

فاز كارلوس فوينتيس بعدد من الجوائز التكريمية والأدبية الكبرى من مختلف بلدان العالم نذكر منها جائزة «سيرفنتيس» في الآداب الإسبانية ١٩٨٧ التي تعتبر بمثابة نوبل في الآداب المكتوبة باللغة القشتالية، وجائزة «أمير أستورياس» في الآداب ١٩٩٤، فضلاً عن حصوله على الجائزة الوطنية المكسيكية في الآداب عام ١٩٨٤ وسواها من الجوائز التكريمية الكبرى الأخرى.

عن صحيفة العرب

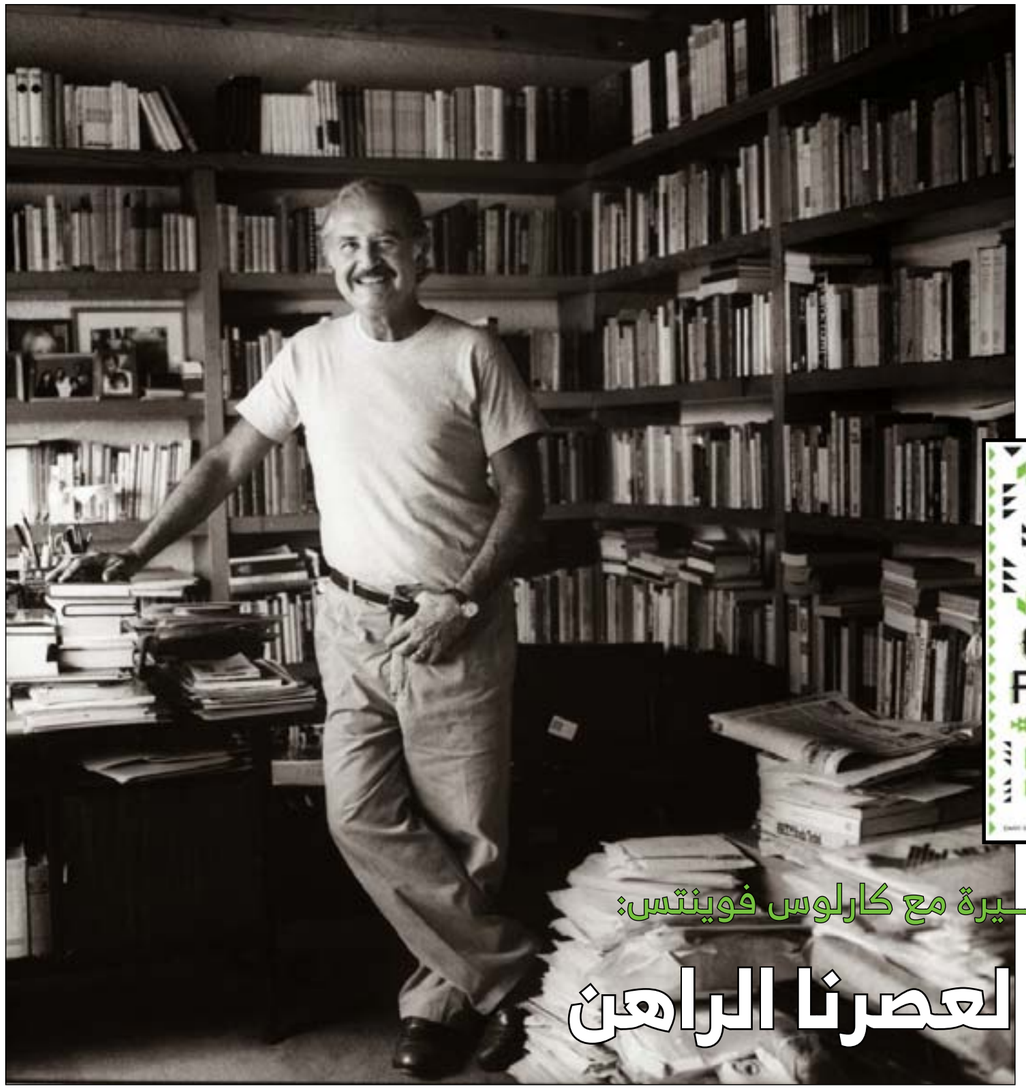

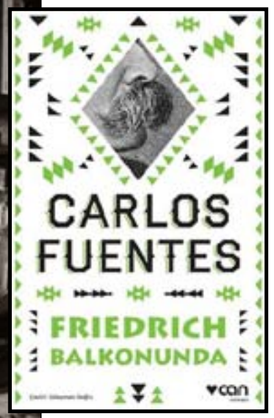

المقابلة الأخيرة مع كارلوس فوينتس:

لا اسم لعصرنا الراهن

عشية رحيله عن عمر يناهز الثالثة والثمانين، لم يكن عملاق الآداب الأميركية الجنوبية، كارلوس فويتنس، مستعداً بعد للموت. كان منكباً على المقابلات الصحافية حيث كان لا يتوقف عن استحضار شبابه الدائم. ثم أصيب بنزيف مفاجىء أودى بحياته.

جسّد كارلوس فوينتس التجديد الأدبي الاميركي الجنوبي الى جانب ماريو ففارغاس لوزا وغابرييل غارسيا مركيز. وقد ولد من أب ديبلوماسي، ونشأ بين الاميركيتين، الشمالية والجنوبية. كان يمضي الصيف في بلده المكسيك، حيث كانت تنتظره جدّتان ترويان له القصص والاساطير. وقد نال العديد من الجوائز، أهمها جائزة سرفنتس الرفيعة للآداب. يقول زملاؤه ان غيابه ترك فراغاً في المشهد الأدبي المكسيكي، لا يسهل على الأدباء الشباب الجدد ان يملأه سريعاً. هنا المقابلة الصحافية الأخيرة معه عشية وفاته، مع صحيفة «البايس» الاسبانية (نشرتها «كورييه انترناسيونال» ٢١ أيار ٢٠١٢

– ألا تخاف من الصفحة البيضاء؟

– كلا، لا أخاف على الاطلاق. أعرف دائماً بالضبط ما أريد، أقوم وأنجزه بهمة عالية. أستفيق يومياً في السابعة صباحاً وأبدأ بالكتابة في الثامنة. أكون قبل ذلك قد دوّنت كلمات ونقاط على ورقة، أضعها أمامي ثم أبدأ. أنا لدي مليء الأسباب للبقاء على قيد الحياة. فأنا أمضي وقتي بين كُتُبي وزوجتي وأصدقائي وغرامياتي.

– ألا تعتقد بأنه أحيانا، مع العمر، لا يصبح الانسان أكثر حكمة، بل أكثر غباء اذا ما تمسّك بقناعاته القديمة؟

– هذا مرهون بالأشخاص أنفسهم. أعرف جيدا الصحافي الفرنسي، جان دانيال، رئيس تحرير مجلة «نوفل ابزفاتور». هذا الرجل بلغ منذ أيام الواحدة والتسعين من العمر، وذهنه أصفى من ذهني وذهنك. الكاتبة الجنوب أفريقية، صاحبة جائزة نوبل، نادين غورديمر، صار عمرها الآن ٩١ عاماً. اما الممثلة المسرحية البريطانية، لويز رينر، فقد تجاوزت العامين بعد المئة. وأنا أزورها كلما كنت في لندن. نذهب للعشاء مع بعض، تضع القبعة على رأسها وتتمتع بالحياة. لا وجود لقانونٍ بهذا الخصوص. الواقع انه عند بلوغ المرء عمراً معيناً، إما يبقى شاباً، أو يصبح عديم الفائدة.

عشتُ طويلا في عاصمة الارجنتين بوينس ايرس، فقد عمل فيها والدي مستشاراً للسفير المكسيكي هناك عام ١٩٤٣. وبما ان اليميني المتطرف هوغو واست كان وزيراً للتعليم يومها، كانوا يعلموننا الايديولوجية الفاشية في المدارس. لم استسغ الافكار الفاشية، فطلبتُ من أبي العودة الى واشنطن، والتعلم في المدارس الاميركية. أجابني وقتها: «انت على حق تماماً. عمرك الآن خمسة عشر سنة. لا تهتم بالمدرسة. اذهب وتنزه«. هكذا أمضيتُ مراهقتي أتنزّه في شوارع بوينس ايرس وأزقتها.

– عما يحكي كتابك الأخير، والكتاب الذي أنت بصدد كتابته الآن؟

– الكتاب الذي انتهيت من كتابته الآن عنوانه «فرديركو على شرفته» وهو يحكي عن انبعاث الفيلسوف الالماني نيتشه وظهوره على شرفته في الخامسة فجرا، وحواري المطول معه. اما الكتاب الذي أنا بصدده الآن فعنوانه «رقصة العشر سنوات»، وهو ثلاثية عن العصر الرومنطيقي: تبدأ أحداثها عام ١٩١٠ خلال الاحتفالات المئوية بالإستقلال المكسيك، بقيادة بوفيريو دياز، وتنتهي عام ١٩٢٠ مع الاحتفالات المئوية لنهاية حرب الاستقلال بقيادة الفارو ابريجون. انها قصة عشر سنوات من حياة المكسيك.

– هل هناك جانب من القرن الواحد والعشرين يثير اهتمامك؟

– انا مفتون بالتغيرات التي نشهدها حاليا. من كان يتوقع كل هذه التغيرات التي بدأت في أفريقيا الشمالية؟ من هذه البقعة من العالم انطلقت التغيرات لتطال جزءا مهماً من أوروبا والولايات المتحدة حيث بات طلابي يقولون لي: «أنا طبيب ولا أجد عملاً». أو طالب آخر يشتكي: «استطاع ابي الصعود الى مستوى الطبقة الوسطى، فيما ينتابني شعور بأنني سوف أعود وأنزل الى مستوى الطبقة العاملة«.

في أميركا اللاتينية التغيرات الكبيرة جارية، وان بقيت الاوضاع هادئة نسبيا. في السابق، كانت المشاكل تأتي من أميركا اللاتينية، أما اليوم فيبدو انها، أي المشاكل، سوف تأتي اليها. وهذا عالم جديد لا نجد له التسميات. لو سألنا دانتي عن رأيه بالقرون الوسطى، فسوف يكون جوابه: «ما هي القرون الوسطى هذه؟». لا إسم لعصرنا حتى الآن. ولكنه بالتأكيد انه عصر متبدّل. في عصر النهضة كانت أوروبا تعلم انها في النهضة، أما في القرون الوسطى فلم يكن احد يعلم بأنه فيها.

عن صحيفة المستقبل

ظلال "التايتانيك" في رائعة كارلوس فوينتس الروائية

شوقي بزيع

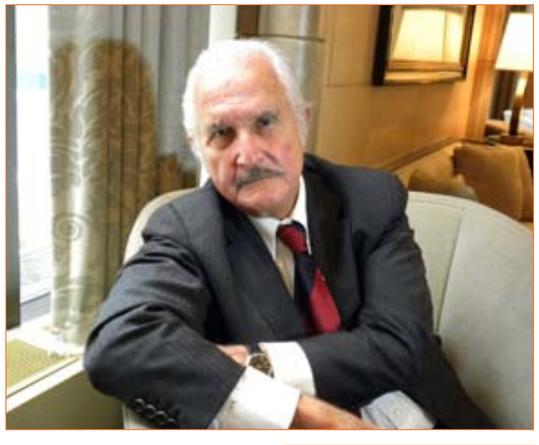

لا يزال الشعور المحض بمرور الزمن قادراً منذ أقدم العصور على إضرام النار تحت حطب الفنون اليابس ورفد الكتابة بأكثر عناصرها توهجاً واحتداماً. فمنذ ملحمة قلقامش التي دوّن السومريون من خلالها وثيقة خوفهم من الزوال وسعيهم لامتلاك الرقية السحرية الشافية من الموت وحتى يومنا هذا، لا يكف الشعراء والمبدعون عن تكرار المحاولة ذاتها بحثاً عن خلود متوهم يمكن الاسم من النجاة في غياب المسمى. ولم يكن هاجس الموت هو وحده ما يؤرق البشر، بل يضاف إليه هاجس الاحتفاظ بالشباب الدائم والحيوية المتجددة. ذلك أن الحياة مع الشيخوخة قد تكون بالنسبة إلى الكثيرين أشد وطأة من الموت نفسه، لأن البشر لا ينامون مع الموت في سرير واحد ولا يعون حالة الموت نفسها ولكنهم يعاينون شيخوختهم عن كثب ويرون بهلع التحولات التراجيدية التي تصيب أجسادهم بالتلف وعقولهم بالتشوش وذاكرتهم بالنسيان.

لم يكن الروائي المكسيكي الشهير كارلوس فوينتس سباقاً إلى مقاربة الشيخوخة وتهدم الجسد في النص الروائي. فلقد بدا هذا الموضوع أثيراً وموضوع اهتمام من قبل عشرات الكتاب والشعراء والفنانين. ولعل غابرييل غارسيا ماركيز، المولود مع فوينتس في العام ذاته، كان واحداً من أكثر الكتاب العالميين اهتماماً بالزمن وتصرم الشباب ومكابدات المراحل الأخيرة من العمر. وهو ما بدا واضحاً في الجنرال في متاهته وخريف البطريرك ولم يعد للكولونيل من يكاتبه، إضافة إلى رائعة ماركيز الروائية الحب في زمن الكوليرا، حيث يتم قهر الشيخوخة بالحب، وذاكرة غانياتي الحزينات التي تعرض للعلاقة بين عجوز في التسعين وصبية يافعة في عقدها الثاني.

يبدأ كارلوس فوينتس لروايته القصيرة والرائعة اورا بإعلان في جريدة يقرؤه فيليب مونترو المتخرج حديثاً في قسم التاريخ في جامعة السوربون، حول وظيفة شاغرة متعلقة بالاختصاص نفسه. وحين يذهب البطل لاستطلاع الأمر يقابل امرأة طاعنة في السن تطلب إليه الاعتناء بأوراق زوجها الراحل قبل ستين عاماً، الذي شارك بوصفه جنرالاً في الجيش في المعارك الطاحنة التي خاضتها المكسيك من أجل استقلالها أواسط القرن التاسع عشر.

في تلك الأثناء يقابل بطل الرواية فتاة فائقة الجمال وذات عينين خضراوين تقدمها العجوز لفيليب بوصفها ابنة أختها التي تعيش معها بشكل دائم. وإذ يتعلق المؤرخ الشاب بالفتاة اليافعة يشعر أن العالم الذي وضع فيه يكاد يكون عالماً متخيلاً أو مزيجاً من الحلم والواقع، خاصة أن المنزل يقع في حي قديم من المدينة والإضاءة شحيحة جداً في الغرف والأروقة. وفي هذا المناخ الغامض يلحظ البطل الشاب وجود أعداد غير قليلة من القطط والجرذان في المكان شبه المظلم، ليكتشف شيئاً فشيئاً من خلال فصول سيرة الجنرال الراحل أن هذا الأخير كان ارتبط بعلاقة عاطفية بالمرأة العجوز كونسويلو التي كانت في عز ألقها آنذاك، وأنه كان وعدها بأن يظل على حبه لها حتى تجاوز عمرها المئة عام. هكذا وبعد رحيل الجنرال ألحت المرأة على الاحتفاظ بكل مقتنياته، وظلت تخاطبه كما لو أنه لايزال على قيد الحياة. كما أنها حافظت على عادتها في خنق القطط التي لازمتها عقدتها منذ طفولتها المبكرة. وحين بدأت تشيخ فرضت على ابنة أختها أورا التي تشبهها كثيراً أن تلازمها على الدوام لكي ترى فيها ظلها في مرآة الصبا. وخلال أحداث الرواية يقيم فيليب علاقة عاطفية مشوبة مع أورا، ليكتشف في ظلام المنزل أن المرأة العجوز كانت حاضرة دائماً في غرفة الحب، سواء بالأصالة عن نفسها أو من خلال ابنة أختها الحسناء. ذلك أن كونسويلو لم تقف عند حد التماهي مع جمال أورا النضر بل أرادت لفيليب الشاب أن يتماهى بدوره مع زوجها الراحل قبل ستة عقود، وأن تستعيد من خلاله لحظات حبها الوحيد التي ترفض وضعها في عهدة العدم.

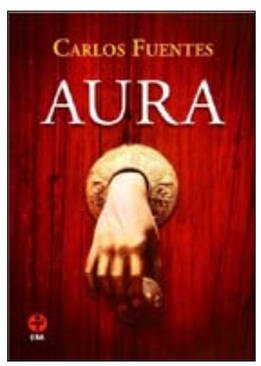

لا أعرف لماذا ذكرتني بطلة كارلوس فوينتس ببطلة فيلم التايتانيك التي ربطتها قصة حب مماثلة بشاب وسيم ما لبث أن قضى نحبه في حادثة تحطم السفينة الأعظم في مطالع القرن العشرين، فالمرأتان كلتاهما تعيشان على الذكريات وتستعيدان لحظات الحب ذاتها التي استعصت على الذبول، ومن خلالها تستعيدان جمالهما الفاتن وشبابهما المفقود. وفي كلتا الحالتين يتقدم الفن بشقيه السينمائي والروائي لكي يضيء ظلمات الحياة المنقضية ويوفر للمصاير البشرية المتهالكة عزاءها المناسب.

عن صحيفة النهار اللبنانية

«كرسي الرئاسة» لفوينتس.. رسائل السلطة

اسكندر حبش

كارلوس فوينتس، ليس كاتبا عابرا في تاريخ الأدب، بل أحد صنّاعه الحقيقيين، وإن كنّا في هذه المنطقة من العالم، لا نلتفت إلا إلى بعض أسماء كتّاب أميركا اللاتينية، متناسين تلك الكوكبة الكبيرة التي أعادت بريقا لرواية كادت تفقدها.

هذا ما نجده في روايته «كرسي الرئاسة» الصادرة حديثا في ترجمة عربية (لخالد الجبيلي عن منشورات الجمل) حيث تتبدى «عبقريته» الروائية، في استعادة شكل روائي تناسيناه منذ فترة طويلة، أقصد الرواية التي تعتمد على شكل الرسائل المتبادلة. فلو عدنا إلى التاريخ لوجدنا أن هذا الشكل الروائي، عرف قمّة مجده في النصف الثاني من القرن الثامن عشر: ريتشاردسون وروسو وغوته ولاكلو... إلا أن «الموضة» خفّت بعد ذلك لتكاد تختفي وتُهمل بشكل كبير.

تدور الرواية في المستقبل (عام ٢٠٢٠). ذات يوم تقطع جميع الاتصالات الهاتفية كما السلكية واللاسلكية في المكسيك التي تجرأت على مواجهة الولايات المتحدة الأميركية. إذ لم تستسغ أميركا، (التي أصبحت كوندليسا رايس رئيستها)، أن يحتج أحد ضد احتلالها العسكري لكولومبيا كما تشجيع «الأوبيب» (عصبة من المشايخ الفاسدين) بالإضافة إلى زيادة كمية الإنتاج النفطي. من هذا الأمر تنشأ مواجهة بين كبار الموظفين في المكسيك، لا نجد فيها أيّ عنصر دبلوماسي أو حتى براغماتي. وإزاء هذا الصمت التام الذي تغرق فيه البلاد من جراء انقطاع الاتصالات يلجأ «أبطال» النص إلى كتابة الرسائل المتبادلة بهدف الانتخابات الرئاسية المقبلة. لم يكن تيران، الرئيس المنتهية صلاحيته، يستطيع الترشح مرة أخرى، لذلك بدا السؤال «من يصعد ليعتلي وكر النسر؟» ملحا. هل يمكن للرئيس أن يكون امرأة؟

لم يكن عند الجميلة ماريا دل روزاريو غالفان «صديقة الرئيس الحميمة» سوى هدف واحد: «أن تكون سياسة، أن تأكل سياسة، أن تحلم سياسة، أن تلتذ بالسياسة وتتألم منها». تهب ماريا جسدها إلى «هذا الجمال الخلاسي» الذي يفوح من نيكولاس فالديفيا «سأكون لك عندما تصبح رئيسا للمكسيك». إلا أن المصاعب والاعتراضات لم تكن سهلة بتاتا. هناك برنال هيريرا وزير الداخلية الوقح، ووزير الخارجية أحد كبار لاعبي البوكر، المستشار «سينيك»، مراقب الميزانية الذي ألغى بنفسه هذه الميزانية، مدير النفط الذي يعتبر البلسم المكسيكي، الفساد، فون برتراب «الوجه المحب للقوة»، أروزا الوجه القبيح... ومن دون أن نحصي الأسوأ: تاسيتو دو لا كانال المتلصص والوصولي. كل هؤلاء يبدأون بالتراسل والاعتراف والوشاية ببعضهم البعض والتهديد والتحالف والانفصال والكذب والاغتيالات، وبنقل بيادقهم فوق رقعة الشطرنج على أمل الوصول إلى اللحظة التي يقتلون فيها الملك. وفي ذلك كله لا بد من أن نقف عند هذه العدة البلاغية الساحرة التي تفوح من كتاباتهم. وربما هنا استعارة سياسية أخرى، فأن يجعل فوينتس كلّ هؤلاء الساسة يتكلمون بهذه اللغة الجميلة، لا بدّ أنه يرغب في أن يشير إلى ضحالتهم في الواقع وعدم قدرتهم على صوغ جملة مفيدة واحدة.

كما عادته، يقدم فوينتس رواية كبيرة أخرى، واحدة من تلك الروايات التي تؤرق وتدفعك إلى طرح العديد من الأسئلة على الرغم من أنك تعرف كل هذه الميكانيزمات التي تُسيّر العمل السياسي، إلا أنه في عمله هنا على جمع تاسيت وسيزار وهايدغر وميكيافيللي يعطي للرواية خاصيتها الثقافية إذا جاز التعبير، لكن من دون أن تسقط مطلقا في التثاقف الجاف، بل نحن أمام رواية متحركة مليئة بالأحداث التي تروى عن طريق الرسائل. وعلى الرغم من اختلاف الأسلوب إلا انها تذكرنا أيضا بيوسا (حفل التيس)» بماركيز (خريف البطريرك)، وأقصد بذلك هذا الهمّ الذي نجده عند الكثيرين من كتّاب أميركا اللاتينية في كتابة اجتماعية، سياسية، تغوص في الراهن، لكن من دون أن تسقط في لغة البيانات لتحافظ على رقي العمل الفني الذي تفترضه الرواية.

عن صحيفة السفير

كارلـوس فوينتس: روائي وكاتب قصة قصيرة ومؤلف مسرحي وناقد أدبي ودبلوماسي وأستاذ جامعي مكسـيكي. كان لرواياتـه التجريبية أثر كبير في جلب تقدير أدبي عالمي لفنه الروائي.. ولـد فوينتس في العاصمـة البنمية عام ١٩٢٨ حيث كان يعمل والده في البعثة الدبلوماسية المكسـيكية واعتاد على السفر الكثير مبكراً مع عائلته بسـبب عمل أبيه الذي كان دبلوماسـياً خـدم في أماكـن متعـددة في الأمريكتـين وأوروبا. تعلم فوينتـس الإنكليزية وهو بعمر الرابعة عندما كان في واشـنطن العاصمة ثم درس القانـون في جامعـة مكسـيكو وحضر دورات دراسـية في معهد الدراسات الدولية المتقدمة في جنيـف. عمل بعدها في مناصب كثيرة منها سـفير المكسيك لدى فرنسا للفترة ١٩٧٥ – ١٩٧٧.

كان فوينتـس منـذ بدايـة سـتينات القـرن العشرين متمـرداً على قيم الطبقة الوسـطى لعائلتـه، وعـلى اثـر ذلك إنضـم إلى الحزب الشـيوعي لكنه تـرك الحزب عـام ١٩٦٢ على الرغم من أنه حافظ على ولائه المخلص للقيم الماركسـية النقيـة. نـشر فوينتـس مجموعته الأولى من القصص القصـيرة بعنوان (الأيام المقنّعـة The Masked Days) عام ١٩٥٤ وفيها أعـاد خلق المـاضي واقعياً وفنتازيـاً معاً، ثم نـشر روايتـه الأولى (حيث يكون الهـواء نقياً Where The Air is Clear) عـام ١٩٥٨ وقـد ترجمت تحت عنوان "المنطقة الاكثر شفافية" والتـي يعالج فيها ثيمة الهويـة الوطنية ووجّه فيها اتهامات قاسـية للمجتمع المكسيكي وقد جلبـت له هـذه الرواية تقديـراً عالياً وأشّرت بداية رسوخه في مهنته الأدبية لما احتوته من تقنيات سينمائية واسـتذكارات للماضي بهيئة (فلاش باك) وحـوارات ذاتية لأفـراد ينتمون لكل افراد المجتمع. نذكـر من اعمال فوينتس المميزة الأخـرى: (الضمير الطيب The Good Conscience) عـام ١٩٥٩ التـي تؤكـد عـلى التداعيـات الأخلاقية المصاحبـة للتحول من الاقتصاد الريفي إلى اقتصاد الطبقة الوسـطى الحضري المعقد التركيـب، (أورا Aura) عام ١٩٦٢ وهـي نوفيللا تصهر الواقـع مع الفنتازيا بتمكن كبير، (مـوت أرتيميو كروز The death of Artemio Cruz) عام ١٩٦٢ والتي يحكي فيها فوينتس السـاعات الأخـيرة في حياة تاج ثري أفلـت من الموت في الثورة المكسـيكية وهي الرواية التي رسّـخت مكانـة فوينتس كروائي عالمي. توالـت اعمال فوينتس حتى وفاته عام ٢٠١٢ ومن هـذه الاعمال (تيررا نوسـترا Terral Nostra) عام ١٩٧٥، (رأس الهايدرا The Hydra Head) عـام ١٩٧٨، (علاقـات فاتـرة Distant Relations) عـام ١٩٨٠، (شـجرة البرتقال The Orange Tree) عـام ١٩٩٤، (المصير و الرغبة Destiny and Desire) عام ٢٠٠٨.

يعـدّ فوينتـس أحـد الكتّـاب المكسـيكيين والعالميـين المبرزيـن في القـرن العشريـن وقد سـاهم المدى الواسع لإهتماماته الأدبية والفكريـة معـاً مترافقة مع حسـه الإنسـاني العـالي في تأكيد تأثيره في الحلقـات الأدبية في أمريـكا اللاتينيـة بخاصـة، وثمـة سـمة كوسموبوليتية نلمحها في معظم رواياته التي تقيم حوارا بين الثقافة المكسـيكية والثقافات العالمية – الثقافتـان الإسـبانية والأمريكيـة الشـمالية على وجه التخصيـص – وتجعل من الهوية المكسـيكية الموضوعة الأساسـية في هذا الحوار. أعلـن فوينتس مرة أنه كتب عمله الأكـثر طموحاً من بين أعماله (تيررا نوسـترا) في محاولـة لخلق توليفة كوسـموبوليتية من أصـوات جيمس جويـس في "يوليسـيس" و الكسادر دوماس في "الكونت مونتي كريستو"، و لطالما أظهر فوينتس حساسـية بعدحداثية في إسـتخدام الأصوات الجمعيـة حيثما أراد استكشـاف موضوع فردي، واحسـب أن هذه هـي الميزة الفريدة التي انفرد بها فوينتس في إبداعه الكتابي الضخم الذي امتد لعدة عقود.

الحـوار الآتي يمثل معظم إجابـات فوينتس على الأسئلة التي تقدم بها الموقع الالكتروني (Academy of Achievement) لفوينتس وقد نشر في حزيران ٢٠٠٦.

× كيف تصف طفولتك وأنت تنشأ ابناً لموظف دبلوماسي؟

• كانت تحدياً كبيراً لقدرتي على التكيف والمواءمة مع محيطي. عندما تكون ابنا لدبلوماسي تكون مرغماً كطفل وبعدها كيافع أن تغير مدرستك ولغتك وأصدقاءك واجواءك كل سنتين أو ثلاث، لذا كان عليّ أن انتقل بين الثقافات الإسبانية و الإنكليزية و البرتغالية ثم عدت اخيراً إلى الإسبانية وهذا تحدّ كبير حتماً لكنه يجعل منك في النهاية شخصية منفتحة. أنا سعيد بطفولتي وأشعر بامتنان كبير لها.

× أي نوع من الأطفال كنت؟

• كنت مواظباً جداً و كنت أقرأ كثيراً وربما كان ذلك فريداً لكوني أدرك أن أصدقائي لن يدوموا أكثر من سنتين أو ثلاثة بالكثير ويتوجب عليّ بعدها أن أنشئ صداقات جديدة لذا كنت أعوض عن الأصدقاء بخلق عالمي الجوّاني من خلال القراءة و صحبة الكتب والأفلام وسماع المذياع الذي كان مهماً للغاية للأطفال في ثلاثينات القرن الماضي عندما كنت أقيم مع عائلتي في الولايات المتحدة.

× هل تستطيع أن تعدّد لنا بعضاً من الكتب وبرامج المذياع والأفلام التي رأيتها مهمة إبان نشوئك؟

• أنتمي – كما تعلمون – إلى ثقافتين: الثقافة الإنكلوساكسونية و الثقافة الامريكية اللاتينية لذا كنت أقرأ و أنا صبي كتبا لم يعرفها أحد في الولايات المتحدة مثل قصص الكاتب الإيطالي (أميليو سالكاري) و بعض من الحكايات الفرنسية. في الولايات المتحدة حيث كنت صبياً كان شائعاً قراءة أعمال (نانسي درو) إلى جانب كلاسيكيات الكتّاب الشائعة في كل الثقافات: جول فيرن، ألكساندر دوماس، روبرت لويس ستيفنسون، مارك توين. كان ثمة آنذاك عشق طاغ للسينما في حقبة الثلاثينات حيث كنا نقيم في الولايات المتحدة وكان والدي معتاداً أن يرافقنا كل أسبوع لمشاهدة فلم جديد وشيئاً فشيئاً صرت مهووساً بالأفلام وبالممثلات والممثلين النجوم من أمثال: جوان كراوفورد و كاترين هيبورن. أما بالنسبة للمذياع فكنت أتمارض أحياناً لكي أقدر على الاستماع إلى بعض من أفضل البرامج المحبّبة لي مثل: تيري و الفرصان، وكانت أمثال هذه البرامج مخصّصة لإمتاع ربّات البيوت وهن يعكفن على القيام بأعمالهنّ المنزلية.

× قرأنا أنك كنت تقضي إجازاتك الصيفية عند جدّتك المكسيكية وهي أساساً راوية حكايات بارعة.ما الذي علق بذاكرتك من هذه التجربة؟

• كانت لي جدّتـان و الاثنتان كانتا حكّاءتين بارعتين، وكانت إحداهنّ تقيم عند خليج المكسيك و الأخرى قريباً من الساحل الباسيفيكي وأظنّ أنني أصبحت كاتباً بسبب إدمانيّ الاستماع لحكايات جدّتيّ البارعتين اللتين تعلمت منهما كل ما يتعلق بالمكسيك و أرى الآن أنهما كانتا مخزن حكايات مكسيكية مدهشاً فيما يخصّ موضوعات: المهاجرين، الثورة، السرقات على الطرق السريعة، قصص الحب، قطاع الطرق، عادات الاكل والملبس،،، باختصار كان ثمة خزين هائل من الحكايات المشوقة في مخزن الماضي الكامن في رأسيهما وقلبيهما و أشعر بمروءة وصدق أنهما كانتا المؤلفتين الحقيقيّتين لأعمالي.

× كانت البرامج الإذاعية في صباك نوعاً من الحكي الروائي الذي استلزم شحذ خيالك. هل تظنّ أنك أفدت من هذه البرامج؟

• بالتأكيد فقد كان يتوجّب تشغيل جهاز التخييل لديك بينما الآن يمكننا مشاهدة هبوط الإنسان على القمر أو قصف بغداد بالقنابل الذكية وهذا لا يستوجب منك أي تخييل على الإطلاق. أذكر كيف كنّا نستمع إلى أحاديث (فرانكلين روزفلت) وكيف كان يتوجّب علينا أن نتخيل كلمات الرجل الدافئة التي كان يلفظها بجمال آخّاذ.

× هل سبّب لك كونك مكسيكياً أية مصاعب في الولايات المتحدة؟

• كلا كلا باستثناء بعض الشكوك أو تساؤلات البعض من نوع "من هذا الشاب؟ كنّا نظنّه مثلنا!! إنه يبدو مختلفاً عنّا و من بلاد أخرى" و هو ما أراه الآن أمراً مفيداً لأنه أتاح لي الفرصة للتوغل في السؤال عن هويتي المكسيكية مبكراً.

× ما الموضوعات التي كنت تحبها اكثر من سواها من الموضوعات في المدرسة؟

• عندما كنت في الولايات المتحدة أحببت مدرّستي ولا زلت اذكر اسمها: الانسة فلورنس بنتر في مدرسة هنري دي. كوك العامة في الجادة رقم ١٣ في واشنطن العاصمة، وقد درّست لنا هذه المعلمة – على غير العادة السائدة آنذاك – كل الدروس: الحساب، الجغرافية، التاريخ، اللغة واعتقد ان المدرسة كانت ممتازة رغم كونها عمومية. النظام التعليمي العام انحدر كثيراً هذه الأيام لكنني أعتقد أنني أفدت منها فائدة عظيمة لاتقدّر بثمن وأنا ممتن كثيراً لمدرّستي التي حبّبت لي كل الموضوعات التي كنّا ندرسها حينذاك.

× ألم تعانِ من أية صعوبات وأنت تنتقل بين الثقافات واللغات المختلفة؟

• لا لا أبداً فقد تكيّفت معها بسهولة كبيرة. كنت في صباي طفلاً لا يتمتع بأية عطلات فعندما كانت العطلة الصيفية تبدأ في الولايات المتحدة كنت أسافر لقضاء الصيف عند جدّتي وكذلك كنت أذهب يومياً إلى المدرسة لأن العطلة هناك كانت تمتد بين شهري كانون الأول وكانون الثاني من كل عام – حيث أكون حينذاك في الولايات المتحدة – وهذا أتاح لي التواصل مع اللغة الإسبانية، ورغم أنني كنت أشعر أحياناً بمرارة كبيرة و أتساءل "ها هم أصدقائي في الولايات المتحدة يستمتعون بالصيف ولعب البيسبول في حين أدرس انا الأفعال هنا في المكسيك!! " لكن هذا علّمني الجلد وأدركت لاحقاً أنه كان شيئاً ملائماً لي من حيث لم أكن أعي.

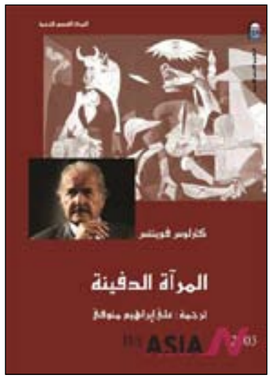

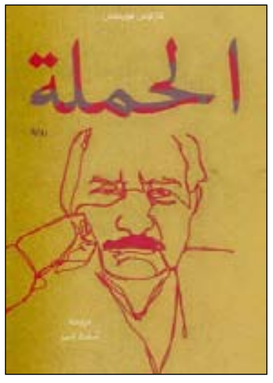

حوار مع الروائي المكسيكي.. كارلوس فوينتس

أظـنّ أنني أصبحـت كاتباً بسـبب إدماني الاستماع لحكايات جدّتيّ البارعتين

ترجمة وتقديم: لطفية الدليمي

رسـائل مـن السـلطة.. رواية "كرسـي الرئاسة" لكارلوس فوينتس

ترجمة: نجاح الجبيلي

إن الرواية المكتوبة على شكل رسائل صعبة. كل الكتّاب تقريباً الذين حاولوا كتابتها، في الأقل مرة واحدة، وظلت منذ وقت طويل تحديا ملزما لأي كاتب.

ومن المتفق عليه أنّ أفضل "رواية على شكل رسائل" لم تأت من أقلام معروفة في الأدب مثل دوستويفسكي ولا من أولئك الذين أعطونا شخصيات لا تزال في الذاكرة مثل "برام ستوكر"، ويبدو أن "شودورلو دو لاكلو" في روايته "علاقات خطرة"" التي تعج بالأرستقراطيين المنحطين استفاد بشكل أفضل من هذا الشكل، وبشبكة منشئة بشكل رائع من الدهاء التي قاومت صخب عدد لا متناه من الإعدادات ذات الأقدار المختلفة دون أن تفقد بريقها.

ومع حلول ثورة الاتصالات في القرن العشرين يبدو أن هذا النوع من الروايات يعيش أفضل أيامه. وهناك قلة من الذين جربوه هنا وهناك مثل الكاتب الأمريكي المهاجر وليم ستايرون، لكنهم عادة ما يرجعون إلى الأزمان الماضية.

إن العيون الفنية عادة ما ترى التطورات في التكنولوجيا كونها تغييرات نحو الأسوأ لا الأفضل لكن مع حلول الشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت) فإن زي رواية الرسائل قد عاد ومعه إذا ما حكمنا على رواية كارلوس فوينتس الأخيرة نستطيع أن نضيف بشكل سعيد إلى ذلك نهضة رواية الرسائل.

وهنا يكمن الاهتمام بروايته الأخيرة "كرسي السلطة" التي يظهر أنها ذروة رواياته السياسية ابتداءً من "موت أرتميو كروث" فإن كاتب "ديانا، الإلهة الوحيدة" قد استفاد من جنس– الرواية المكتوبة على شكل رسائل– كي يسرد حكاية سياسية ذات خيال علمي وتصويراً إشعاعياً للحياة المكسيكية الحالية. وكي يخضع بشكل محكم لقواعد هذا الصنف استفاد فوينتس من فكرة سنظن أنها بعيدة المنال حتى لو أن عند هذه النقطة لم تترك السلطات أية بدائل ملحة قليلة للخيال: ماذا ربما سيحدث إذا ما وقعت كل الاتصالات في يوم ما بيد سرية وقررت حكومة أمريكية حاقدة أن تعاقب تصرفاً سياسياً من قبل الرئيس المكسيكي بترك البلد بلا هواتف ولا إنترنت.

إن الإشارات المرجعية كثيرة إلى أعمال الكاتب السابقة وبالأخص شخصية "أكسكا سينفيوغوس" المتحرر من الوهم لكنها شهادة واضحة الرؤية على البلد المسلوب الذي يشغل نفسه في تبادل دائمي للرسائل بعد انقطاع الاتصالات؛ أو في الشخصيات التي تعكس أسماؤها.إن لم تكن مألوفيتها مع الحقيقة نفسها، مصيرها قبل الوجود؛ رئيس الشرطة المتآمر لهذا يسمى "سيسيرو أرونثا" بينما "أندينو ألمائان" هو البيروقراطي النزيه.

كذلك تمثل الرواية المواجهة ما بين القديم والجديد مع سياسات الديناصور في شكل رئيس سابق يواجه الشباب الحديث والكل يجري سحقه أو يقع في شرك النظام نفسه إذ يتظاهرون بأنهم يحققون أحلامهم السياسية.

ومن بين الدماء الجديدة نيكولاس بالديبيا الرجل المتعلم للفرنسية الذي يعزف على الأوتار ما وراء الستار ويظهر ببطء القصة الأخرى التي تقف وراء النزاع القذر على العرش.

إن فراغ السلطة والمشادات المبكرة حول الخلافة الرئاسية يجري التعامل معها وكأنها ليست تجارب حقيقية في المكسيك اليوم لكنها بانوراما كارثية للأحداث. إن الخداع الذي ينتهي بالنتيجة ليس مفاجأة جزئية لأن الخيال العلمي نادراً ما يفيد الأقنعة الخفيفة لجداليته لكنه عميق جداً في تضميناته الساخرة. وهنا يكمن سر فن فوينتس.

رواية "كرسي الرئاسة" تدور أيضاً عن تربية بالديبا الشاب الذي تقوده روزاريو غالفان القوية إذ يتردد صدى ستندال بشكل قصدي في غالفان ودليلها الشاب الغامض. إنها قصة تدور فيها المؤامرات الواسعة للسياسة وتمتزج مع الدراما الشخصية التي جرى تمثيلها في الأدب مستعملة أسماء أخرى – هنري كيسنجر وحتى هامت في الحصاد الأحمر– والآن تذكرنا شخصيات فوينتس بأن السياسة تستطيع أن تكون التعبير التنفيذي لعدم النضج السياسي.

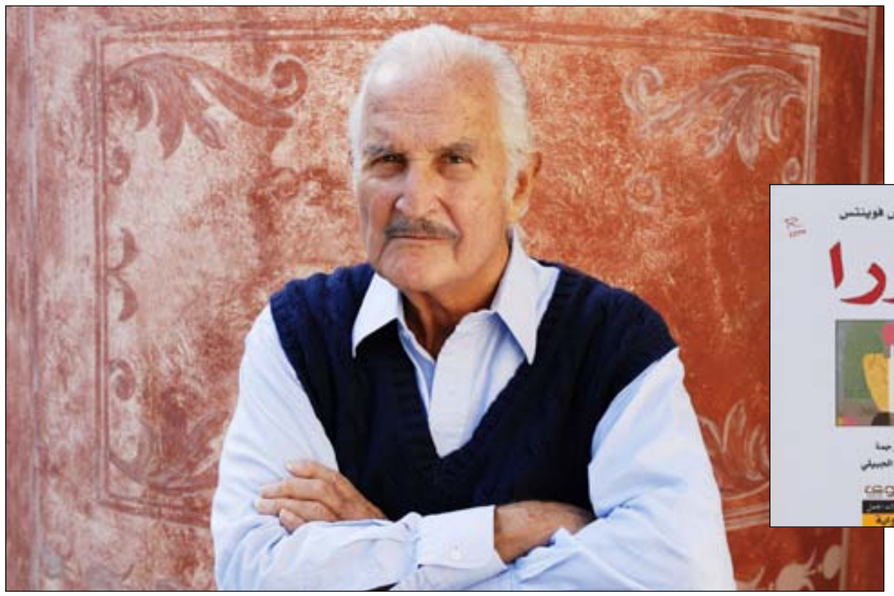

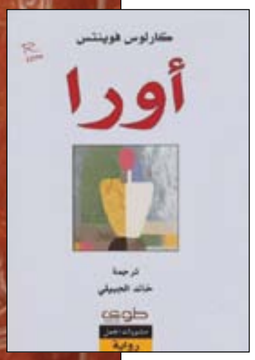

ابراهيم حاج عبدي

رواية «أورا» لكارلوس فوينتس... قصة المؤرخ الشاب

تبدو رواية «أورا» للروائي المكسيكي كارلوس فوينتس وكأنها تختبر القارئ على صبره، ومدى قدرته على التأويل والتفسير. فهذه الرواية الصغيرة الحجم، تبدأ بواقعة تقليدية معتادة، ثم سرعان ما تفتح الباب أمام أسئلة شائكة عن وهم الشباب وهموم الشيخوخة ولعنة الذكريات وفوضى التواريخ والرغبات المكبوتة والعزلة والأحلام.

تتشعب مساحات الرواية، التي ترجمها خالد الجبيلي، ليغدو النص القصير أكبر من حجمه الحقيقي. النص يكبر في دواخل القارئ، وهو يمضي مع فوينتس (١٩٢٨ – ١٩١٢) في هذه الأحجية المباغتة التي تنتهي على نحو غير متوقع عند الصفحة ٦٤ (الرواية إصدار مشترك بين «الطوى» و «منشورات الجمل»). بطل الرواية فيليب مونترو، متخرج في جامعة السوربون. متخصص في التاريخ. رأسه محشو بوقائع تاريخية عديمة النفع، وقد اعتاد على التنقيب في وثائق حال لونها إلى الأصفر. لن نعرف شيئاً عن أسرته وبيئته. لكننا سنخمن أنه يعيش وحيداً وينتظر وظيفة تنقله من حال الى حال. يقرأ إعلاناً في الجريدة يتطابق، تماماً، مع مؤهلاته وميوله: مطلوب شاب متخصص في التاريخ، أنيق، يعمل بضمير، يجيد الفرنسية، براتب أربعة آلاف بيزو شهرياً، مع إقامة ووجبات طعام». يبدو أنه إعلان أعد خصيصاً له، حتى إنه يعلق بسخرية، مخاطباً نفسه: لم يبق إلا أن يضيفوا اسمك إلى الإعلان.

هذه البداية البسيطة تقود مونترو إلى المتاهة. يمضي نحو العنوان المحدد في الإعلان، ولا شيء في ذهنه سوى رنين الرقم المغري. يكتشف قصراً قديماً متهالكاً في مدينة مجهولة. إنها المدينة القديمة؛ شبه الخالية. معتمة. رائحة العفونة والرطوبة تثقل جو المكان. درجات حجرية. صرير أبواب خشبية. وسط عبق التاريخ هذا، يصل مونترو إلى ضالته: إنها غرفة السيدة يورينت؛ الطاعنة في السن والمستلقية على سرير تتقاسمه مع أرنب. عجوز ضامرة مثل منحوتة من القرون الوسطى، بالكاد تستطيع تحريك جسدها المنهك؛ المرتعش. غرفتها غارقة في الضوء الخافت، مملوءة بالأيقونات، والقناني المختلفة الألوان، وصف طويل من علب الأدوية. ظلال دائمة تترنح على الجدران بفعل وهج أضواء النذور والمقتنيات الفضية. بيت لا يصلح للعيش، لكنها تتمسك به، لأنه «الذكريات»، كما تبرر.

في خضم هذا الطقس الجنائزي الكئيب، تشرح العجوز للزائر، الباحث عن الوظيفة، مهمته المتعلقة بترتيب وتنظيم مذكرات زوجها المتوفى؛ الجنرال يورينت. «يجب أن أعمل على ترتيبها ونشرها قبل أن أموت». هكذا توضح الأمر لمونترو الذي يكتشف، بالتدريج، هذا المتحف المنزلي وهو يفكر بالراتب المغري، لينكب من فوره على الجزء الأول من المذكرات في الغرفة التي خصصت له. ممنوع عليه أن يغادر ويأخذ معه مخطوط المذكرات، عليه أن يبقى في غرفة بالطابق العلوي في البناء الذي تقطنه العجوز. لا شيء يؤنس وحدة العجوز سوى ابنة أختها أورا الجميلة، التي ستتحول إلى شخصية رئيسة تهيمن بحضورها الغامض على فكر المؤرخ الذي يردد في نفسه: تستطيع أخيراً أن تتبين العينين بلون البحر، وأنهما تندفعان كموجتين صاخبتين، ثم تتكسران، وتتحولان إلى زبد، ثم تهدآن ثانية، لتندفعا مرة أخرى مثل موجة». مفارقة مريرة بين هذه الحيوية المتقدة لأورا وبين خالتها التي تحتضر بوهن.

هذه الشاعرية المرهفة تتخلل سرد فوينتس وهو يأخذ بيد بطله نحو مزيد من الاكتشافات والألغاز في هذه القلعة القديمة الصامتة. والقارئ، بدوره، يجد نفسه وسط فيض من الاحتمالات والأسرار، فهل شخصية أورا حقيقية أم أنها محض خيال اخترعه مونترو؟ وكيف رضيت أن تضحي على هذا النحو في هذا المكان الخانق حيث العتمة وسطوة الذكريات القاتلة؟ الأرجح أن السيدة العجوز تمارس عليها طغياناً يمنعها من الفكاك من هذا السجن. تلك أسئلة تراود ذهن مونترو وهو يعكف على دراسة مذكرات الجنرال. يستعيد محطات الأمجاد والهزائم، كما هي سيرة كل جنرال. عليه أن يدخل تحسينات كبيرة على الأسلوب، وأن يدوّن الحكايات المبعثرة والماضي المشتت وفق سرد متقن، وأن يربط بإحكام بين تلك الوقائع المتداخلة، وأن ينجز نصاً يستحضر حياة طويلة بشكل مشوق وجذاب: طفولته في مزرعة في أواكساكا، دراساته العسكرية في فرنسا، صداقته مع الدوق دي موري، وعلاقاته مع نابليون الثالث، وعودته إلى المكسيك للعمل في ماكسيمليان، المراسم والاحتفالات الامبراطورية، الهزيمة في عام ١٨٦٧، ثم منفاه في فرنسا... عليه أن يرمم مذكرات يتزاحم على صفحاتها صليل السيوف وأزيز الرصاص وصهيل الخيول وصرخات الاستغاثة وصيحات النصر...

مونترو، الضليع في فخاخ التاريخ، ودروبه الوعرة يجد نفسه عاجزاً عن التركيز. التواريخ تفلت منه بينما يراقب حكاية موازية تحدث، الآن، بالقرب منه. حكاية أورا وخالتها العجوز التي «تتحدث بصوتها الرفيع الحاد، الذي يشبه زقزقة عصفور». إنها تتكلم مع أورا، وهو يستمع إلى قائمتها الطويلة من الشكاوى والآلام، والأمراض المشتبه فيها، وتكاليف الأدوية ورطوبة البيت... إلخ. حوار طويل بين عجوز تفوح منها رائحة المرض والأدوية وبين فتاة يافعة، متلهفة لخوض مغامرة الحياة، «ورغم العتمة، لكنك تستطيع أن تشم عبير أزهار الفناء في شعرها»، يقول مونترو معزياً نفسه.

بهذا المعنى، فإن جوهر الرواية لا يتعلق بمذكرات الجنرال، بل برصد الفوارق بين السيدة العجوز التي تدرك أنه لم يبق لها أي متعة في الحياة سوى الصلاة والعبادة، وبين الفراشة المرحة، الشابة أورا التي تجسد ذلك الشباب الضائع. الرواية تتنقل بين شابة عشرينية وسيدة تجاوزت المئة عام (وفقاً للمذكرات). إنها عن نضارة الشباب التي تذبل مع السنوات، ولا يبق منها غير أطياف ماض بعيد تتحرك كشريط سينمائي باهت. لا شيء سوى الحسرات والخسارات وكومة أوراق صفراء تتوهم السيدة العجوز أنها ستحيي سنوات الحماسة والاندفاع.

رواية «أورا» تعيد إلى الأذهان تلك الثلاثية التي تكررت في الأدب: المرأة العجوز والفتاة الشابة والرجل الشاب. هذه المعادلة لطالما تناولها الفلاسفة والأدباء. لكن بمعالجات ورؤى شتى. قد تكون مفردة معالجة فضفاضة هنا، فصاحب «كرسي الرئاسة» يمضي نحو حيلة سردية خاصة تلمّح من دون أن تصرّح. تقول كل شيء باختزال وتكثيف. أفكار حائرة تومض فجأة ثم تتلاشى بين أروقة وزوايا ذلك المنزل القديم. إنه منزل للأشباح والأسرار يحيلنا إلى جماليات الواقعية السحرية التي طبعت آداب أميركا اللاتينية. لكن فوينتس لا يذهب في هذا الاتجاه الذي يوثق أساطير عن الأشباح، وإنما يصوغ من عناصر درامية قليلة حكاية عن وعود الحب والجمال الذي يذوي، وعبء السنوات وثقل الأمل. إنه نص مبهم، يتأرجح بين الحقيقة والوهم.

كارلوس فوينتس يكتب عن نهرٍ جارٍ حيث لا نستحمّ بالمياه عينها مرتين

رلى راشد

في روايته الموجزة، "هالة"، التي تعجّ بالرموز وتستدرجنا إلى قراءات عدة، يغلّفنا سرد كارلوس فوينتس بطراز من الحلم المتّقد تتقاسمه جميع شخصيّات الحكاية. في نص البدايات هذا، الجامع بين مسحات ما بعد حداثيّة وجمالية وقدرة تعبيرية لافتة، لا نعلم تماماً متى نقف فوق أرض جامدة ومتى نهيم فوق مستنقع يجرّنا إلى قعره. هناك ما نظنّه الواقع من جهة، وهناك تحليق في متاهات الوهم، من جهة ثانية. تَذَكّرنا النص التأسيسي في مسار الكاتب المكسيكي المرجعي، ونحن نتقرّب من أحدث إصداراته اللاحقة لرحيله، "شاشات فضيّة". نصوص تختزل واقع "دخولنا صالة السينما لنحلم"، على ما يدوّن فوينتس، في تجربة لا تبخل بالعاطفة.

لا يمكن الفن السابع أن يتراءى في الهيئة التي نعرفها حين يرصده أسلوب كارلوس فوينتس. ها إن الصوت المنطفئ قبل أعوام قليلة يستدعينا مجددا إلى عالمه، إلى رحلة يستحيل فيها الشغف البصريّ قطعاً نثريّة تشهد على تعلّق بالسينما لا يعرف حداً. لا ترتبط قيمة نصوص "شاشات فضيّة" التي نشرت بالقشتالية لدى دار "الفاغوارا" الإسبانية، للتو، بحقيقتها الأدبية البحتة، فحسب. على رغم النبرة الإقرارية لنصوص تقترض في معظمها ضمير المتكلم، ليست تمارين تأليفية تكتفي بالأقصوصة، وإنما تجعل الكتابة أداة لإعادة فهم التاريخ. يأتيه فوينتس، عبر مراحل مختلفة، شكّلت مهاد الإفتتان بهذا الفنّ.

في النصوص فقرات من يوميّات الروائي والباحث الذي تسنّت له مشاهدة مجموعة فسيحة من العناوين السينمائية، عند ضفّتي المحيط الأطلسي. توفّرت له أيضاً فرصة محاذاة ثلة من المخرجين والممثّلين، ناهيك بتجريب كتابة السيناريو ومتابعة سرديّاته، تستحيل مشاهد سينمائية.

والحال ان فوينتس نفسه يمسي جزءاً من الفيلموغرافيا حين نراه في إحدى الصور المرافقة للكتاب، في مطلعه تحديداً، في صورة شابّ بالأبيض والأسود، تجاوره إحدى السيدات. نقرأ في كلام الصورة "سيلفيا ليموس وكارلوس فوينتس. ساحة سان ماركو. البندقيّة. ١٩٧٥". يبدو الثنائي في هذه اللقطة، تحوطه طيور الحمام من كل صوب، كأنه خارج على الزمن. تصلح الهنيهة الفوتوغرافية، في مكان سياحي كمثل الساحة الأشهر في مدينة التنهّدات الأخيرة، قبالة قصر دوج، تأويلاً لكلام الكاتب عينه. كأن الزوجين يبوحان مسبقاً بما سيكتبه فوينتس لاحقاً في "أسرة بعيدة"، أن "البقاء لكل ما لا يتقدّم، ذلك انه لا يشيخ".

انطلقت حكاية فوينتس الأولى مع السينما في الجوار القريب جدا. يسترجع والده الضاجّ بالفانتازيا السعيدة، الذي راق له أن يستسلم على مرّ أعوام حياته، لمصدر التسلية الجديد الذي بزغ في مدينة تشالابا، وهو جهاز عرض الأفلام. نقرأ عن المدينة وعاصمة ولاية فيراكروز حيث عرضت في "صالة فيكتوريا"، أفلام دراميّة صامتة إيطالية وعالية الطموح الفني. أفلام كانت بطلاتها نساء اتّخذن وضعيات على غلوّ، تماماً مثل أسمائهن، أكانت فرنسيسكا بيرتيني، أم بينا مينيكيللي أم غيرهما. نساء احتككن بالجدران على ما يصفهنّ فوينتس، بل التصقن بها في حركة يائسة، قبل أن يفتحن أذرعهن في شكل صلبان ويسدلن جفونهم قبل الإستسلام لحبّ غير مرغوب فيه أو لتضحية موجعة. نقرأ: "استَنَدنَ إلى الجدران ووضعن أيديهن على جبينهنّ، وأغمضن عيونهن ورحن يتأرجحن ويرتجفن، حين وصلهن خبر سيئ". نساء ارتسمت الهالات تحت عيونهن وتلوّنت وجوههن، واعتبرت مبالغتهن في الأداء وفي استخدام مساحيق التجميل، عبر العالم المتمدّن، كأنها ذروة الإنفعال الدرامي. ينتقل فوينتس لاحقاً الى تشالابا في ١٩٢٠، حيث تابع ناسها تطوّراً شهدته السينما بفضل تيار طبيعي مصدره التجارب الأميركية تقطنها نساء متحررات. وفي حين بدت السينما الإيطالية في عرف فوينتس، نسقاً من الصور القديمة والجامدة، حيث ركنت كل بقايا الفن بمعناها الكبير، تبدّت السينما الآتية من أميركا الشمالية "نهراً جارياً" حيث يستحيل على المرء الاستحمام في المياه عينها مرتين. مياه غنيّة وآثمة على السواء.

تتذكّر نصوص "شاشات فضيّة"، لحظات السينما الصامتة أيضاً، مع شابلن وكيتون وتقصد كوميديا الشقيقين ماركس كذلك. في الكتاب قطع تحليلية أيضا تحاول فهم انتصار السينما السوداء وتعرج على روسيليني وفريتز لانغ وفرانك كابرا. تحضر الخصوصية المكسيكية أيضا في هويات سياسييها، فيشير فوينتس إلى رئيسين، ألفارو أوبرغون ساليدو، السياسي والجنرال المكسيكي، الذي تسلم مقاليد الحكم بين ١٩٢٠ و١٩٢٤، وفرنسيسكو بلوتاركو كاييس، الرئيس اللاحق وتحديداً في مرحلة ١٩٢٤ – ١٩٢٨.

غير ان الأهم عند فوينتس يبقى سؤال الآخرين ليستدلّ إلى نفسه. نقرأ: "تجلسُ وحدَك عند النافذة في هذا الصباح من أيلول (مُشاهدٌ دمث. شبيهي. شقيقي) تتصفح جريدة لا ترغب في قراءتها، تفكر في معارفك وهم يَبكون رحيل أوبرغون، ويُقرّون بتبصّر كاييس، الذي استطاع أن يستر طموحه الشخصي عبر الجهاز المؤسسي. تتأمّل وهم عابر يتعلّق بقيام جمهورية من الفلاسفة والخطباء، المتقشفة والمسلية في آن واحد، وعلى رأسها كاتب شهواني جريء. تفضّل قراءة التعليقات الصغيرة الخاصة بالمدينة، التي يسميها الفرنسيون على نحو ملائم تماما، الحكاية الصغيرة".

يغوص فوينتس أو محدّثه، لا فرق، في دهاليز المطبوعة الصحافية ويجوب في أعمدتها عاثراً على حالة فردية تظهر عادية الشرّ الإنساني. يقرأ عن حادثة متفرقة جرت في المنطقة الصناعية في محطة للوقود وانتهت على نحو فتّاك. يقرأ عن رجل يدعى خوان مارتينيز، عمد إلى إغراق قدمَي رجل آخر إسمه خوسيه رودريغيز، بالوقود، قبل أن يشعلها بسيجارة. حدث هذا كله، فيما الضحية مستغرقة في النوم. تنتقل نظرته العنيفة بعدذاك لتبحث عن أخبار أقلّ وطأة، حيث لا تردّد الحكاية الصغيرة، على ما يكتب، مغامرات الحكاية الكبيرة السيئة.

يروح فوينتس بعدذاك يتحدّث إلى شخصيته الرئيسية مباشرة بعد أن يحيد نظرته عن الصحيفة. يتوجه إليه: "أنت ابن غوتنبرغ والأخت خوانا دي لا كروث. لم ترهقك أخبار الصحيفة بعد. تدرك ما ينقصك تماماً، تعرف أيّ صفحة تفتح. تدرك في أيّ واحدة سيتعذّر عليهم جرّك إلى المطهّرات الجسديّة والسياسية (...) تفتح صفحة سعيدة، حيث تركت غمامة الطباعة الرمادية المكان، لخطوط ذهبية وسحب إسفنجيّة. تنتظرك هذه الصفحة كأنها السماء الزرقاء التي تلحق بالعواصف. انها الصفحة السعيدة".

يرصد فوينتس لنصوص "شاشات فضيّة" هويات مختلفة، البعض منها وثيق الصلة بالموضوع مثل "عاملو السينما" و"ملكات هوليوود"، والبعض الآخر على جانب من الإلتباس، من نسق "غرباء في الجنّة" و"أوروبا عند الحافة". في كل حال، يجعلنا قراءً نستعيده في كليّته، كما أراد، حين كشف أنه بدأ يكتب لكي يعيش ووصل به الأمر لأن يكتب لكي لا يموت. اليوم نصدّقه أكثر من الأمس.

عن النهار اللبنانية

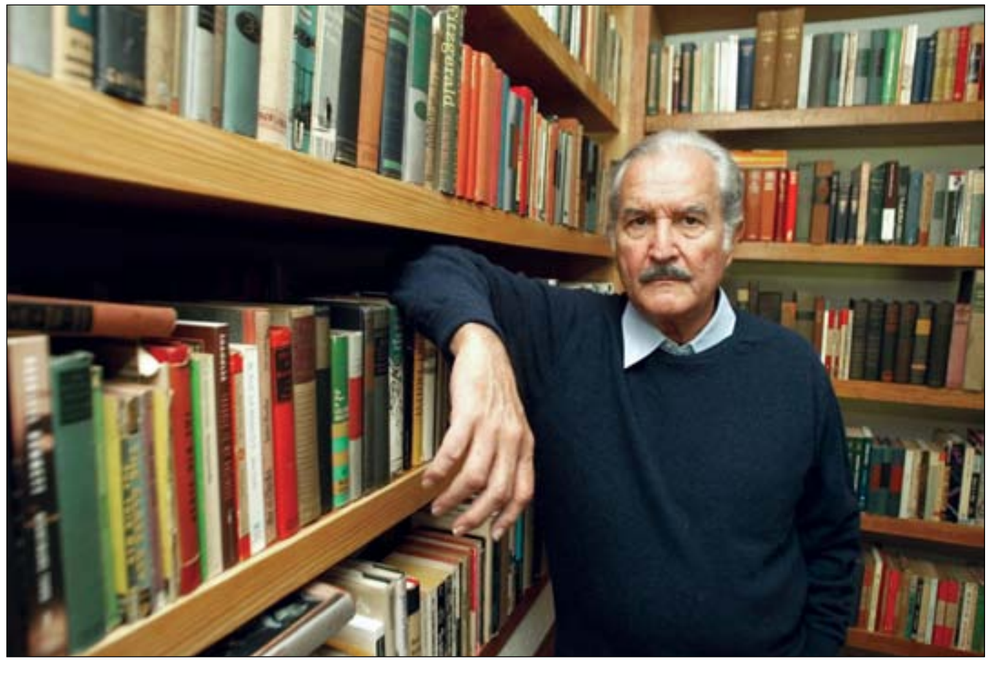

كارلوس فوينتس.. الصوت المتعدد المتجدد

سعيد بوكرامي

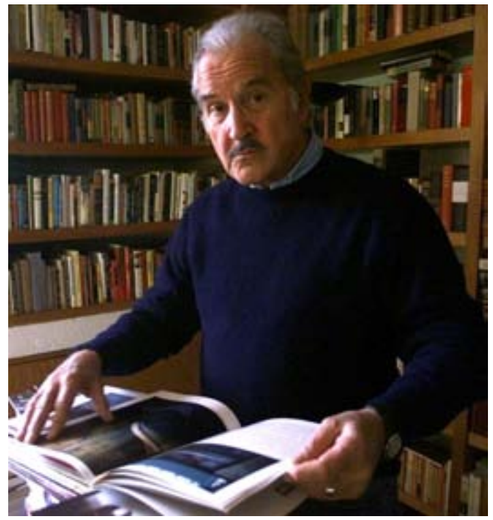

١

مرت ذكرى وفاة الروائي المكسيكي كارلوس فوينتس يوم الثلاثاء ١٥ مايو. الصحافة الثقافية العربية لم تشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد، بينما احتفت الصحافة الناطقة باللغة الاسبانية بذكراه أيما احتفاء.

انتظر هذا الكاتب الأنيق والشهم والفذ طويلا جائزة نوبل لكن الجائزة خسرت كثيرا حينما قررت مرات عديدة استبعاده من التتويج الأدبي المستحق.

كتاب عالميون حصلوا عليها، بعضهم لا يصل إلى نصف قامة فوينتس الأدبية، التي يعترف بها النقاد والقراء المخلصون والعاشقون لأعماله الأدبية العميقة.

ولد فوينتس في بنما في ١١ نوفمبر ١٩٢٨ وتوفي عن عمر ٨٣ عاما في مصحة أنجليس البريغال بعاصمة المكسيك مكسيكو، كان واحدا من عمالقة الأدب الأمريكي اللاتيني، رفقة صديقه الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، والبيروفي ماريو فارغاس يوسا أو مواطنه أوكتافيو باز. شكلوا جميعهم نخبة متنافسة وخصبة ومتميزة. كوكبة ذهبية أنتجت للعالم أبهى الأعمال الأدبية وأعظمها. روائيون نادرون لا تجود العصور بمثلهم إلا لماما.

كان كارلوس فوينتس شخصية متعددة الأوجه.شغل منصب سفير المكسيك في باريس بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٧ كما مارس الصحافة، وكان كاتبا ومثقفا ملتزما.

كان يكره أن يتحدث بتفاصيل حياته. وكان يكره اكثر فكرة سردها في سيرة ذاتية وربما هو الوحيد من العمالقة المذكورين سلفا من لم يكتب سيرة ذاتية. إذ كان يعتبر كتاباتها مثل حفر كلمات على شاهدة قبر.

في وقت لاحق، سيحافظ هذا المحب للسفر، على شعلة الترحال والبحث عن المجهول. فقد نظم وقته بين مكسيكو وباريس ولندن، التي كان بشكل خاص يحب الكتابة بها، ومارس ايضا التدريس في عدد من الجامعات الأمريكية.. كان فوينتس رحالة وبلا انتماء جغرافي محدد بحيث كان يعتبر إقامة الشخص في بلده بشكل مريح، شيئا جيدا ولكنها ليست ذات اهمية كبيرة، أما الشخص الذي يحس بالراحة في كل مكان من العالم فهذا افضل، بيد أن الأفضل هو الشخص الذي لا يجد نفسه في أي مكان. يعترف فوينتس أنه عندما كان طفلا في الولايات المتحدة خلال الثلاثينيات تأثر تأثرا كبيرا بشخصية الممثل الأمريكي هنري فوندا وبالتحديد في فيلمه عناقيد الغضب. هذه الشخصية التي حاول استحضارها تركيبها في نصوصه الروائية.

٢

لعب فوينتس، بما لا يقبل الجدل، دورا ثقافيا مهما، في النصف الثاني من القرن العشرين، بحيث إنه كان قريبا من جميع الأحداث الحاسمة في تاريخ القارة الأمريكية اللاتينية. وعلى رأسها الثورة الكوبية. ذكاؤه وحضوره الساحر ومواهبه الإبداعية التي لا مراء فيها، جعلته في واجهة المناسبات الادبية والسياسية والاجتماعية، وهي ميزة لا يتوفر عليها جميع الادباء. كان هذا التاريخ أرضية أعماله جلها. فقد كان يقول دائما إنه لا وجود لرواية دون تاريخ، وأيضا لا وجود لتاريخ بلا رواية.

كانت أعماله الروائية متعددة الأشكال والثراء. يمكن أن نتذكر روايته موت أرتيميو كروز التي صدرت عام ١٩٦٢، حيث يصف بلاده المكسيكية المخدوعة بثورة الانتهازية.

وكذلك رواية أرض نوسترا التي نشرت في عام ١٩٧٥، التي تعد ذاكرة تاريخية حقيقية للمكسيك. في الشيلي، سيقرأ غابرييلا ميسترال وبابلو نيرودا، ومن خلالهما سيدرك مبكرا وإلى الأبد المصاهرة بين الأدب والسياسة في الأرجنتين، حيث كان يرفض الذهاب إلى المدرسة بسبب الفاشية العسكرية المتحكمة في البلاد، سيكتشف متع الحياة والتانغو وبورخيس، يقول عن هذا المعلم قدم لي بورخيس درسا مباشرا وهاما، المنجز الادبي يحتاج بشكل اساسي الى حداثة من الماضي، في السادسة عشرة عاد إلى المكسيك يحمل رصيدا مذهلا، من العنفوان والثقافة الانسانية. في البداية درس في الثانوية الفرنسية، ثم درس القانون في جامعة المكسيك، ثم انضم إلى معهد الدراسات المتقدمة في جنيف وبعد ذلك سيعمل لصالح الدولة المكسيكية لدى منظمة العمل الدولية في جنيف. وفي الوقت نفسه، بدأ يكتب قصصا فشر عام ١٩٥٤ باكورته يوم الكرنفال، ثم سرعان ما باشر كتابة الروايات. تميز أسلوبه في الكتابة باسترجاعات نكريات الماضي أو بتقنية لصق العناصر السردية المتنوعة وتركيبها بشكل بوليفوني.

النقاد في ذلك الوقت اكتشفوا تأثيرا واضحا لدوس باسوس وفولكنر. كما يمكن أن نرى أثرا لجداريات الفنانين ريفيرا وسيكويروس. سعى فوينتيس من خلال تجربته السردية إلى تقديم وجهة نظر عن صراعات الواقع المكسيكي والعنف المستبد داخله، لهذا، كان عليه أن يكسر القوالب العتيقة للغة الإسبانية مانحا إياها حيوية وحياة جديدة.

في منتصف الخمسينيات كان عمره سبعا وعشرين سنة فقط حينما أسس فوينتس مع مواطنه أوكتافيو باز، مجلة الأدب المكسيكي ودار النشر سيغلو القرن الحادي والعشرين. ومن هنا سيبدأ عطاؤه الأدبي الغزير الذي بلغ ثلاثين كتابا ترجمت إلى معظم لغات العالم.

من بينها اللغة العربية التي تصدى لها المترجم البارع صالح علماني بحيث نجح في نقل اللغة الاسبانية لأدب أمريكا اللاتينية وروحها الابداعية إلى اللغة العربية بتفوق لا نظير له جعلته في مقدمة كل من حاول ترجمة أدب أمريكا اللاتينية إلى اللغة العربية.

٣

لم يمنعه الاهتمام بالأدب من الاستمرار في مساره الدبلوماسي. في وقت من الأوقات كان قريبا من فيديل كاسترو، لكنه سيبتعد عنه محتجا على اعتقال وسجن الشاعر الكوبي هيربيرتو باديلا سنة ١٩٧١. وقد جلب له موقفه هذا انتقادات وعداء من طرف كثير من المثقفين الموالين لكاسترو. ما بين ١٩٧٤ و ١٩٧٧ سيشغل منصب سفير المكسيك في فرنسا. وقد حظي داخل المجتمع الثقافي والسياسي الفرنسي خاصة والأوروبي عامة بوضع اعتباري متميز.

منذ السبعينيات تمكن كارلوس فوينتيس من تحقيق شهرة عالمية بروايات مثل أرض نوسترا (١٩٧٥)، ورأس هيدرا (١٩٧٨)، قرابة معينة (١٩٨٠)، والحال نفسه، بالنسبة، لرواية الصديق العجوز (١٩٨٥) التي تحولت إلى السينما بواسطة المخرج لويس بوينزو، بطولة غريغوري بيك وجين فوندا. هذه الأعمال كلها تشير مباشرة من قريب أو بعيد إلى الموضوعات الرئيسية التي تشكل نسيج منجزه الروائي: العلاقة بين أوروبا وأمريكا، التعالق التاريخي بين الماضي والحاضر، الأساطير العظيمة للإنسانية، وإيجابيات الاختلاط العرقي والثقافي، وتجلياته المتزجة كتيارات المحيطات، حينما يتقارب كل شيء، ويتلاحم مصير الانسانية. لكن فوينتيس لا يتوقف أبدا عند هذه الخطوط بل يتجاوزها إلى وصف اللقاءات المفاجئة لهذا الاختلاط والاصطدامات المترتبة عنه والتي لا حدود لنتائجها السلبية.

هذه الموضوعات الحاضرة كلازمة نجدها تتكرر بإصرار في أعمال أخرى مثل ابتسامة ايراسموس (١٩٩٠)، حيث يبين فوينتس أن حداثة أمريكا شيدت بلقاءات بين الماضي. أو في المرأة المتوارية (١٩٩٢)، حيث يسبر فوينتس تاريخ اسبانيا وأمريكا اللاتينية من خلال توالد الحضارات العظيمة، مقدما حفريات منذلة عن الهوية.

٤

في روايته الأخيرة سعادة الأسر (٢٠٠٩)، عبر الكاتب المكسيكي في هذا العمل عن تساؤلات جوهرية: ما هو تأثير العامل الزمني على صراع الأجيال وما يترتب عنه من عنف. وكيف يمكن الهروب من آليات التدمير الذاتي، سواء الحميمة كما هي روابط الدم والتاريخ. وما يتمظهر عنها، على الخصوص، في تعاقب الأجيال، وفي النسيج الاجتماعي المنحرف حاول فوينتس طرح هذه الأسئلة دون البحث عن أجوبة من خلال ستة عشر فصلا من الكتاب.

وكما هو الحال في أرض نوسترا، فبطبيعة الحال لا يحصل الأبطال على السعادة المنتظرة، بل يعيشون اختناقا مهلكا بين فساد مهول ومدنية مصطنعة. في هذا العمل يأخذ فوينتس على عاتقه إسماعنا صوت من لا صوت لهم، من الفئات الاجتماعية المتوارية خلف ظلال الشوارع المكتظة بالعنف والمخدرات والفساد والرشوة مستعرضا أوضاعا اجتماعية نفسية لأسر هي ضحايا أوضاع اقتصادية وسياسية تقود رأسا صوب العنف والإجرام في المكسيك عامة والعاصمة مكسيكو خاصة.

في كل عمل من روايات فوينتس يحاول بلا هوادة طرد الأرواح الشريرة وتخليص الانسانية من فسادها المستشري كالنار في الهشيم. ربما لم ينجح فوينتس في تحقيق هذه المهمة النبيلة المستحيلة التي دأب على ممارستها والمطالبة بها، إلا أنه حقق منجزا أدبيا خالدا جعله رفقة أدباء آخرين من المكسيك خير ممثل لأدب المكسيكي وأفقه الحداثي المتجدد.

عن الحوار المتمدن

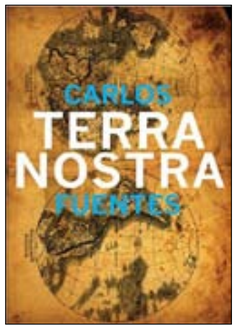

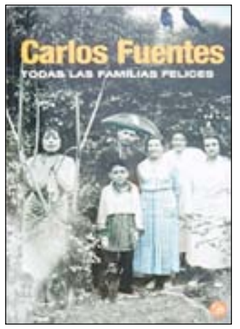

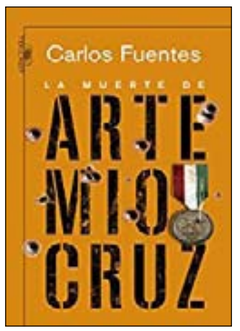

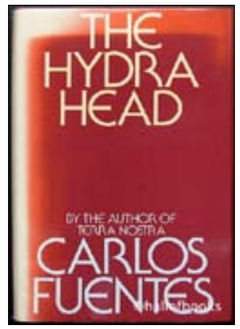

كارلـوس فوينتـس.. النسـيان قناعُ الذاكرة!

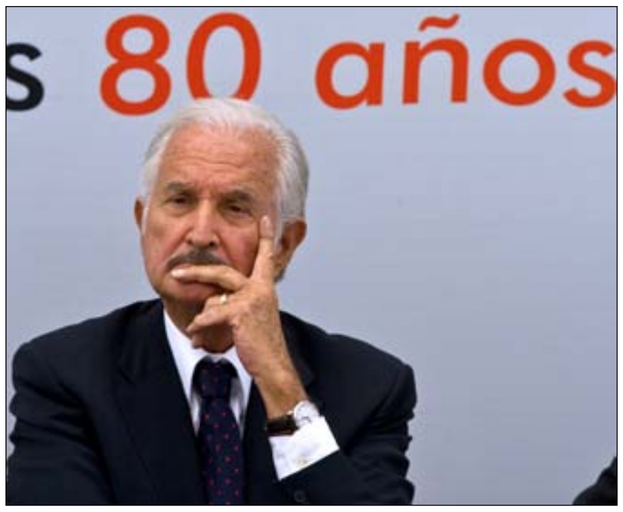

عن كتابه «الأيام المقنّعة»، يقول كارلوس فوينتس: (يصعب عليّ أن أتصوّر عالماً طبيعياً. فمنذ الطفولة نضع على وجوهنا أقنعة، وهذا ما يفعله كريستوف، إنه يعرف كل شيء، ويقرّر أن ينسى، وهذا النسيان هو قناع الذاكرة).

يتابع حديثه عن القناع والكذب، فيقول: (لا أستطيع أن أتصور وأتمثل الأدب دون كذب.!، وأذكر أن دوستويفسكي علق على رواية «دون كيشوت» بأن مؤلفها أنقذ الحقيقة بواسطة الكذب. والحق أنه لولا هذا العنصر الأساسي في رواية «دون كيشوت» لما استطاع سرفانتس أن يقول لنا الحقيقة. إن الكذب غير المقبول في الحياة العامة أو الحياة السياسية يمكن قبوله في الأدب كعنصر خلق. وهو هنا يتخذ اسماً آخر: الخيال).

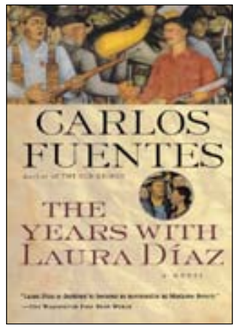

لميس علي

دائماً أثار فوينتس، في أعماله التساؤل حول هوية المكسيك وسكانه. فيما كتب يعود ليصحح فكرة أن المنتصرين الحقيقيين كانوا الهنود الأميركيين وليسوا الأسبان.. وأن فترة القطيعة مع الحضارة الهندية الأميركية هي زمن الفتح الأسباني.

ومن خلال روايته (المرأة الدفينة) التي صدرت نسختها العربية مؤخراً عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة، يحاول الكاتب المكسيكي قراءة تاريخ الثورات في أميركا اللاتينية.

ولد فوينتس في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٨، في بنما سيتي لأبوين مكسيكيين، حيث كان والده يعمل مستشاراً ثقافياً للمكسيك في الولايات المتحدة الأميركية. يقول فوينتس عن ولادته: (ولدت تحت الشارة التي كنت سأختارها، برج العقرب، وبتاريخ شاركت فيه ديستوفسكي في روسيا وفوجئت في أمريكا). أمضى طفولته في كثير من أماكن القارة الأميركية: واشنطن، مكسيكو سيتي، بيونس آيريس، سانتيباغو، ري ودي جانيرو.

درس الحقوق وسافر إلى جينيف لمتابعة دراسته العليا وتحصيل الدكتوراه.. ثم شغل مناصب إدارية في بلده المكسيك ليُعين فيما بعد سفيراً لبلاده في فرنسا عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٧٧. لقي فوينتس ترحيباً في باريس بصفته روائيا ثم دبلوماسيا.. إضافة إلى كونه كاتباً سياسياً صاحب مواقف وآراء جريئة وساخرة.. من مواقفه تلك استقالته من منصبه احتجاجاً على تعيين الرئيس المكسيكي السابق دايات أوردات سفيراً للمكسيك في أسبانيا بسبب مواقفه الفاشية.

من كتبه في المجال السياسي، كتاب (ضد بوش) الذي يسخر فيه من سياسة الرئيس الأميركي السابق.

مع فوينتس وبجرأة، يمكن أن يتعدى توصيفه بالكاتب السياسي إلى المفكّر السياسي لاسيما لدى مطالعة روايته (كرسي النسر) التي يقدّم من خلالها تشريحاً نفسياً وفكرياً للمتنافسين على السلطة.. فاضحا وساخة السياسة، على الأخص في دول العالم الثالث.. فهناك كل شيء مباح و متاح سبيلاً إلى (الكرسي). نفسياً، يخوض الروائي في عمله (كرسي النسر) نُشر عام ٢٠١٠، فاضحاً خفايا الأمور.. نافذاً إلى خلفية أحداث درامية بارزة في حيوات شخصياته أتت بها إلى الحياة السياسية.. وجميعهم ساروا على مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).. صعدوا بطريقة الولاء المعلن أو الخفي للاعب الأكبر.

ومع ذلك.. لم يحظَ الكاتب بالشهرة التي حظي بها نظراؤه الروائيون اللاتينيون الذين ينتمون إلى أدب أميركا اللاتينية، أمثال: ماركيز، بورخيس، و خورخي أمادو.. مع أن لأدبه ميزات سردية خاصة درسها نقاد أوروبيون.

لكن.. كان لبعض مما كتبه حظاً وافراً من النجاح جعله ذا نصيب من شهرة مكّنته الوصول إلى مصاف المُرشحين الدائمين لجائزة نوبل التي لم يفز بها.

من كتبه التي أثرت في بعض الروائيين الذين سلكوا درب (تيار الوعي)، كانت رواية (موت أرتيميو كروز) التي تُسرد بلسان الراوي الذي يستعيد ماضيه وهو على فراش الموت. ومما جعله يختلف عن صف زملائه اللاتينيين تخففه من (الواقعية السحرية).. وتركيبه لنمط أدبي واقعي خيالي بمقاييسه الخاصة.. إضافة إلى ميزة أخرى جعلت من أعماله مكاناً يشتمل على الكثافة والتعقيد لدرجة يصعب في بعض الأحيان فهم مقصده مما يكتب. عُرف عنه ميله إلى الغرائبي المضحك، وتحطيم كل مقدس لدى الناس.. كان يقول: (السخرية تنسف الطبقية والتراتبية).

في بداياته صدر له مجموعة «الأيام المقنّعة» (١٩٥٤) وهي عبارة عن مجموعة قصص سوريالية، ثم رواية «المنطقة الأكثر شفافية» (١٩٥٨)، صوّر فيها نموذجاً حياً من سكان العاصمة مكسيكو سيتي. بعد ذلك أصدر رواية «الضمير الحي» (١٩٥٩). وتعتبر روايته «موت أرتيميو كروز» (١٩٦٢)، أهم إنجازاته الروائية، بعدها جاءت مجموعة «نشيد العميان» (١٩٦٤)، ثم رواية «منطقة مقدسة» (١٩٦٧)، «عيد ميلاد» (١٩٦٩)، ثم «منزل بابين» (١٩٧٠)، «أرضنا» (١٩٧٥)، «عائلة نائية» (١٩٨٠).

ثم تأتي رواية «كرينكو العجوز» (١٩٨٥)، لتحقق لفوينتس مجداً آخر في هذا المجال.

كذلك صدرت له رواية باللغة الإنكليزية «المرأة المدفونة» (١٩٩٤)، كتاب «الحملة على أمريكا» (١٩٩٤)، رواية «الزمن المكسيكي» (١٩٩٥)، و كتب في مجال الدراسات والنقد منها كتاب «سرفانتس» الذي اشتمل نقداً لقراءة سرفانتس ورائعته «دون كيشوت».

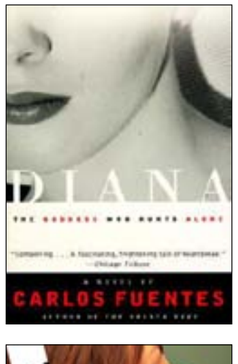

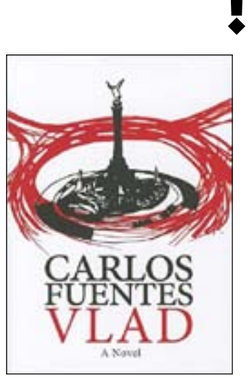

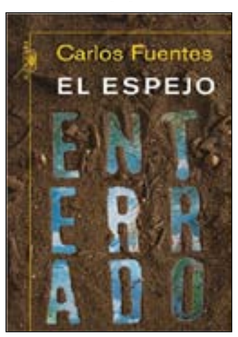

غالبًا ما يتم الحديث عن فوينتس كواحد من المظلومين في الترجمة العربية، أو كواحد من الّذين لم يأخذوا حقهم في الشهرة كما ماركيز ويوسا، على الرغم من أن أعماله لا تقل في ثقل طرحها ومضمونها عن أي من هؤلاء الكتاب اللاتينيين الذين اشتهروا واشتهرت أعمالهم في العالم العربي؛ لذا، قد يكون هذا التقرير حول روايته "كرسي الرئاسة" مدخلًا إلى بقية أعماله.

تُفتَتَح الرواية بحدث فانتازي متخيل في عام ٢٠٢٠؛ حيث تقرر الولايات ألمتحدة قطع جميع الاتصالات عن المكسيك، من خلال تحكمها بقمرها الصناعي، وذلك عقابًا لها على تصويت رئيسها "لورينزو تيران" ضد قرار احتلال أمريكا لكولومبيا، واحتجاجه على سياسة الولايات المتحدة فيما يتعلق بأسعار النفط.

عبده وازن

متى سيقرأ العرب مزيداً من كتب كارلوس فوينتس مترجمة عن لغته الأم؟

قد يجعل هذا الحدث الروايةَ تُصنَّف على أنها رواية "واقعية سحرية" بنكهة لاتينية؛ إلا أن -واقعًا- هذا هو الحدث الذي سيتخذ مبررًا مقنعًا لتبادل الرسائل المكتوبة بين سياسيي المكسيك حول المنافسة من أجل الوصول إلى "عرش النسر"؛ ففي ظل انعدام أيٍّ من وسائل الاتصالات، سيضطر السياسيون إلى تبادل الرسائل المكتوبة، أو التسجيلات الصوتية، لنصل في النهاية إلى شكل الرواية، وهي رواية رسائل؛ إذ تتكون من سبعين رسالة تتفاوت طولًا وقصرًا، وربما لم يجد فوينتس مبررًا أقوى من هذا الحدث الفنتازي، ليصل إلى شكل روايته المتخيل.

ماذا تقول الرسائل؟

توضح الرسائل مجموعة من المؤامرات والخطط الخفية بين مجموعة من المتنافسين من أجل الوصول إلى كرسي الرئاسة (هيريرا، ألماسان، بيرتراب، أروسا، تاسيتو، ماريا، نيكولاس، سيزار ليون، لبابا، عجوز القنطرة...) شخصيات كثيرة: وزراء، رؤساء سابقون، نساء سياسة عاهرات، كلهم يتنافسون من أجل خلافة تيران المصاب بالسرطان، والذي لن يكمل دورته الانتخابية.

ماريا دل روساريو غالبان، وهي امرأة السياسة المحنكة التي لا تفرق بين ممارسة السياسة وممارسة الجنس، تقرر منذ وقوع هذا الحدث المبادرة إلى كتابة الرسائل رغم خطورة الأمر؛ ففي السياسة لا يجب أن يبقي الإنسان وراءه أثرًا مكتوبًا، لكنها تقرر المغامرة، موقنة أن الجميع سيقلدونها.

تحاول رسالة ماريا أن توضح لنا الأمر منذ البداية، من خلال رسائلها المتبادلة مع الفتى الشاب "نيكولاس بالديبا" (صنيعتها السياسية)، الذي تعدُّه لتولي عرش النسر "كرئيس بالوكالة" ليكمل الدورة الانتخابية بعد الرئيس "تيران"، ومن ثم يترشح حبيبها السابق "بيرنال هيريرا" لمنصب الرئاسة في الدورة التالية.

خلال هذه الرسائل، توضح له أنه "لكي تكون سياسيًّا يجب أن تكون منافقًا، ولكي تمضي قدمًا، يصبح كل شيء مقبولًا. يجب ألا تكون كاذبًا ومخادعًا فقط؛ بل ماكرًا أيضًا. فكل سياسي يصعد إلى الأعلى يجر وراءه هياكل عظمية، مثل علب الكوكا كولا المربوطة في ذيل قطة متمردة، لكنها خائفة". ليس هذا التصور لممارسة السياسة استثناءً في هذه الرواية، فجميع الرسائل تؤكد الفكرة ذاتها.

تجد ماريا وحليفها هيريرا وصنيعتها نيكولاس مجموعة من المنافسين، منهم الرئيس الأسبق "سيزار ليون"، العاطفي الطائش، الذي يدخل هو الآخر في سلسلة تحالفات مع المتسلق "تاسيتو دي لاكانال"، ومحاولة استمالة قائد الجيش الجنرال "بيرتراب"، وهذا الأخير يكون مستقطبًا من قبل الدمويّ "أروسا" الذي يغريه بانقلاب عسكري.

بعيدًا عن هذا الضجيج، يوجد الرجل العجوز تحت القنطرة، في ميناء فراكروز، حيث يخبِّئ سره العظيم، ويعوِّل عليه كثيرًا في الوصول إلى عرش النسر، هذا السر الذي يتضح في النهاية أنه كان اختطافه لرجل السياسة المثالي "مورو"، واعتقاله في قلعة "أولوا"، والإعلان عن موته باغتيال عسكري قبل ثمانية أعوام، لماذا اختطفه واعتقله وأعلن موته؟ لأنه أراد أن يعدَّه للحظة المناسبة، هذه اللحظة كانت عام ٢٠٢٠، لكنَّ صنيعته هذا لم يعد كائنًا بشريًّا، إنه مجرد صنيعة رجل مجنون بالسلطة.

لن تنتهي المؤامرات في هذه الرسائل، والانقلابات السريعة؛ إذ سرعان ما يتحول بالديبا من حليف لماريا التي صنعته ووجهته إلى شخص مستقل يتحالف مع عضو الكونجرس "أونيسمو كانابال"، وقائد الجيش بيرتراب الذي يدعي أبوته بعد أن يكشف زيف اسم ونسب نيكولاس بالديبا.

هل هي مجرد مغامرات ومؤامرات فقط؟

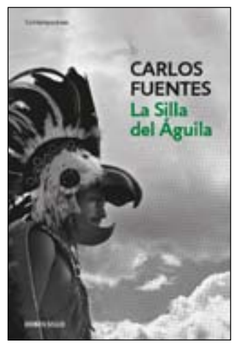

تتجاوز الرسائل ذاتها، لتعطينا ما هو أبعد من ذلك، إنها تحاول أن تمنح السياسة أفقها الوجودي العميق، التحليل الأبعد لما تقوله نشرات الأخبار يوميًّا؛ إذ تستطيع نشرة الأخبار أن تقول لنا إن انقلابًا عسكريًّا قد حصل، لكنها لا تستطيع أن تخبرنا شيئًا عن الأزمة النفسية العميقة لشهوات القوة والسلطة كما يصورها الدموي "أروسا". يقول فوينتس في كتابه "جغرافية الرواية": "ثمة إعلام، وأحداث، ومواضيع، وصور، والكل يقترن بالعنف أو اللذة.. وفي مقابل ذلك، يندر التخييل. كما أن الأحداث والصور تتوالى، وتتراكم، وتتوافر، دون شكل أو تتابع. ومع ذلك، نتساءل، ما هو التخييل، إذا لم يكن هو تحويل التجربة إلى معرفة؟ وهذا التحويل، ألا يقتضي وقتًا؟".

إن هذا تحديدًا هو ما يحاول فوينتس تطبيقه في هذه الرواية؛ بحيث يحول "التجربة" السياسية إلى "معرفة"، وهذه هي مهمة "التخييل" الذي تضطلع به الرواية الحديثة، وهذا الذي يمكن أن تقوله "الرواية"، بحيث لا يمكن قوله بأي طريقة أخرى، وهو ما يحفظ لها مشروعيتها، ويحميها من سؤال "هل ماتت الرواية؟".

بعيدًا عن المكسيك، ومشاكلها السياسية والاقتصادية التي تثيرها الرواية -وهو ما قد يبدو مملًا بالنسبة لقارئ عجول-، هناك ما هو أبعد من ذلك؛ إذ تناقش الرواية قضية شائكة وهي "فلسفة الأخلاق في السياسة"، بمعنى: هل يمكن للسياسة أن تكون أخلاقية؟ تنتصر هذه الرواية للإجابة بالنفي؛ فـ"سينيكا" الذي يمثل وجه السياسة "المثالية"، يكون سببًا فيما تتعرض له المكسيك من أزمات بسبب مشورته التي أشارها على الرئيس برفض احتلال كولومبيا، بينما تنتصر السياسة الواقعية في النهاية.

الحضور الأنثوي في هذه الرواية يبدو لافتًا، غير أن هذا الحضور لا يشير إلى شيء بقدر ما يشير إلى السقوط الأخلاقي السياسي؛ فالسياسة ليست سوى امرأة لعوب، تلعب دور الإغواء المستمر، ومن ثم السقوط في مستنقع الشهوات اللانهائي للجسد، فجميع النماذج النسائية المذكورة بائعات هوى، بداية من ماريا، وليس انتهاء لابابا ألمسان التي خانت زوجها في فراش أروسا لتحقيق مصالح سياسية.

وربما يكون الوعد الذي تمنحه ماريا لصنيعتها نيكولاس بأن تظهر له عارية، وتستقبله في فراشها إذا ما حقق غايتها بأن يكون رئيسًا، هو وعد "شهوة السلطة"، ومن ثم فإن المشهد الفنتازي الذي يرى فيه نيكولاس ماريا، وهي تتعرى من نافذة مطلة على الغابة، لا يحيل إلى مشهد إيروتيكي بقدر ما يحيل إلى "غواية السلطة"، و"عدم أخلاقيتها".

رواية التوليفات الصوتية

كتابة رواية رسائل يعني أن يكون الكاتب بارعًا في "تقمص الأصوات"، وأن يلعب هذه اللعبة بحذر لكي يبدو مقنعًا، وإلا فإن روايته كلها ستكون عديمة القيمة.

في هذه الرواية يستطيع فوينتس أن يبني الرواية على "إيقاع موسيقيٍّ" خاص؛ فكل رسالة لها صوتها ألخاص بها، لها كلماتها البذيئة خاصتها، ولها نوتتها الخاصة في خلق الصوت، الرواية موسيقية، ولا أعني بذلك الإيقاع اللفظي، أعني التوليفات الصوتية في أصوات كاتبي الرسائل: صوت العاهرة بضحكتها الخليعة، صوت الوزير المتسلق، صوت العسكري العنيف، صوت الرئيس السابق المتبجح، صوت الشاب الماكر، صوت الاقتصادي العقلاني، ثمة مستويات مختلفة من "يا سيدتي الجميلة"، و"آه يا حبيبي يا فطيرة التورتيلا"، إلى "أيها الكلب"، إلى "إن التضخم مشكلة".. ثمة توليفات صوتية فاتنة في هذه الرواية كما لا يوجد حتى في الإيقاع الشعري.

عن الحياة اللندنية

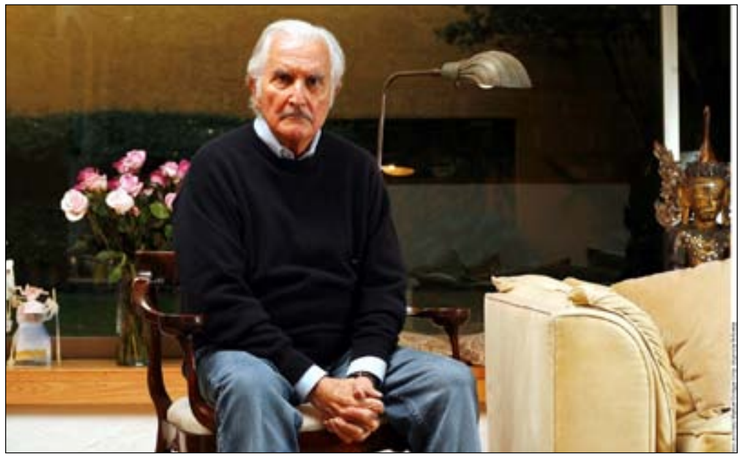

حديقة بلا سياج: كارلوس فوينتس في رحلته الأخيرة

آدم فتحي

ليس من الممكن التغافل عن رحيل كاتب مبدع وضمير يقظ بحجم الروائيّ المكسيكي كارلوس فوينتس صديق باث وماركيز ويوسا والرحّالة المتفاني في الشهادة على عصره الشغوف بالحوار بين الثقافات انطلاقا من «مكسيكيّته» التي ما انفكّ يقولها ويبدعها مرتفعًا بها إلى أعلى الدرجات.

ترك كارلوس فوينتس أكثر من ٧٠ عملاً بين قصة ومسرحيّة ومقالة وسيناريو دون أن ننسى روائعه الروائيّة التي منحته احترام النقّاد وحبّ القراء في مختلف لغات العالم. وهي روايات أهّلته لنيل أكبر الجوائز في أمريكا اللاتينيّة وفي غيرها باستثناء جائزة نوبل للآداب التي ظلّ يُرشّح لها بقوّة وباستمرار منذ عقود دون أن تعرف طريقها إليه.

ربّما لأنّه كان في أدبه وفي سيرته يساريًا وثوريًا أكثر ممّا تحتمل هذه الجائزة.

إنه ثوريّ الرواية بامتياز في المغامرة الجماليّة التي شرع في خوضها منذ سنة ١٩٥٨ مع رواية «المكان الأكثر شفافيّة» والتي بدأت باستخدام موفّق لتقنية التيبوغرافيا التي عاد إليها في رواية «موت أرتيميو كروز» سنة ١٩٦٢ ثمّ امتدّت إلى نهج خاصّ في ما سُمّي بتيّار الوعي إضافة إلى سخريته ذات المذاق المميّز وتمرّده على الواقعيّة السحريّة التي طبعت معظم أدب أمريكا اللاتينيّة لهذه المرحلة.

وهو روائيّ الثورة بامتياز من حيث اهتمامه الدؤوب بالثورة في مجمل أعماله بوصفها حلمًا كثيرًا ما يُجهض ولكنّه يظلّ ضروريًا لتحقّق إنسانيّة الإنسان. وقد انطلق من الثورة المكسيكيّة وانكساراتها ولكنّه اهتمّ بالإنسان الثائر حيثما كان وساند القضايا العادلة ولم يتوانَ في المدّة الأخيرة عن تأكيد اهتمامه الشديد بما حدث في تونس ومصر ملحًّا على أهميّة «اليوم التالي» في تحديد نجاح الثورات أو فشلها.

اتّضح هوس كارلوس فوينتس بالثورة منذ روايته الأولى حيث جعل أبطال روايته يعبّرون عن خيبة أملهم وهم يرون شعارات الثورة تنهار على أيدي انتهازيّين لا هَمّ لهم إلاّ الحلول محلّ سابقيهم وكأنْ «لا نتيجة للثورة إلاّ ظهور شريحة جديدة من ذوي الامتيازات وهيمنة الولايات المتّحدة على البلاد وشلل كلّ محاولات التغيير الحقيقيّ».

هذه النظرة النقديّة ظلّت تتخلّل مُجمل أعماله وكأنّها جرس منبّه يشير إلى المزالق المحيطة بالثورات في تواريخ معيّنة وعلى امتداد التاريخ في المطلق. وها هو في إحدى رواياته الأخيرة «الإرادة والثروة» يعود إلى الموضوع نفسه مجريًا على لسان رأس بلا جسد كلامًا شديد المرارة، في كناية ساخرة عمّا آلت إليه الأمور في المكسيك من عنف يولّد العنف.

لم تدفعه هذه النظرة النقديّة إلى اليأس، ولم تمنعه من أن يظلّ في كلّ أعماله مدافعًا شرسًا عن الأمل على الرغم من كلّ ما يشهده العالم من فساد واستبداد وتضليل. كما لم تمنعه من أن يظلّ مدافعًا شرسًا عن دَوْر الثقافة والإبداع في المحافظة على هذا الأمل وفي الوصول به إلى التحقّق.

كان يرى في الكتابة ضرورة قصوى لا ترفًا

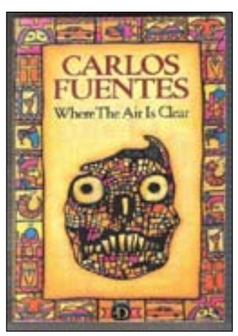

وكان يرى في الكتاب شرطًا من شروط التحرّر والخلاص بدونه لا ذاكرة ولا هويّة ولا ماضي ولا مستقبل ولا حريّة لا مناص من العودة إلى مرتبة الحيوان.

وأذكر أنّي قرأت له قبل أشهر فقرة وردت في أحد حواراته الصحفيّة الكثيرة، شعرتُ للحظة بأنّها قيلت فينا وتخصّنا في مرحلتنا هذه تحديدًا، وممّا جاء فيها قوله: «إنّ الأدب من أوّل الأمور التي تسعى الأنظمة الشموليّة إلى محاربتها. وإذا رأيت حكومة تسعى إلى فرض خيالها ولغتها على الشعب فاعلم أنّها بداية الديكتاتوريّة».

ولعلّي لا أجد لإجمال القول أفضل ممّا ذهب إليه أحد دارسيه حين قال: «كان كارلوس فوينتس يطمح إلى كتابة تاريخ الإنسانيّة في بعده التخييليّ ويريد لأعماله أن تشكّل ذاكرة الزمن. كان يرى للثقافة والإبداع دورًا مركزيًا يتمثّل في ترتيب الـ«كاووس» واقتراح بدائل عن اليأس وإضفاء معنًى على الكلمات. كان بمثابة دون كيشوت في مواجهة هاملت. يقول هاملت إنّ الأدب مجرّد كلمات بلا معنًى فيقول دون كيشوت إنّ في وسع الكلمات أن تغيّر الحياة.

عن صحيفة الأهرام

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

المدى

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

التدقيق اللغوي
محمد حنون

الاخراج الفني
خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

كارلـوس فـوينتس

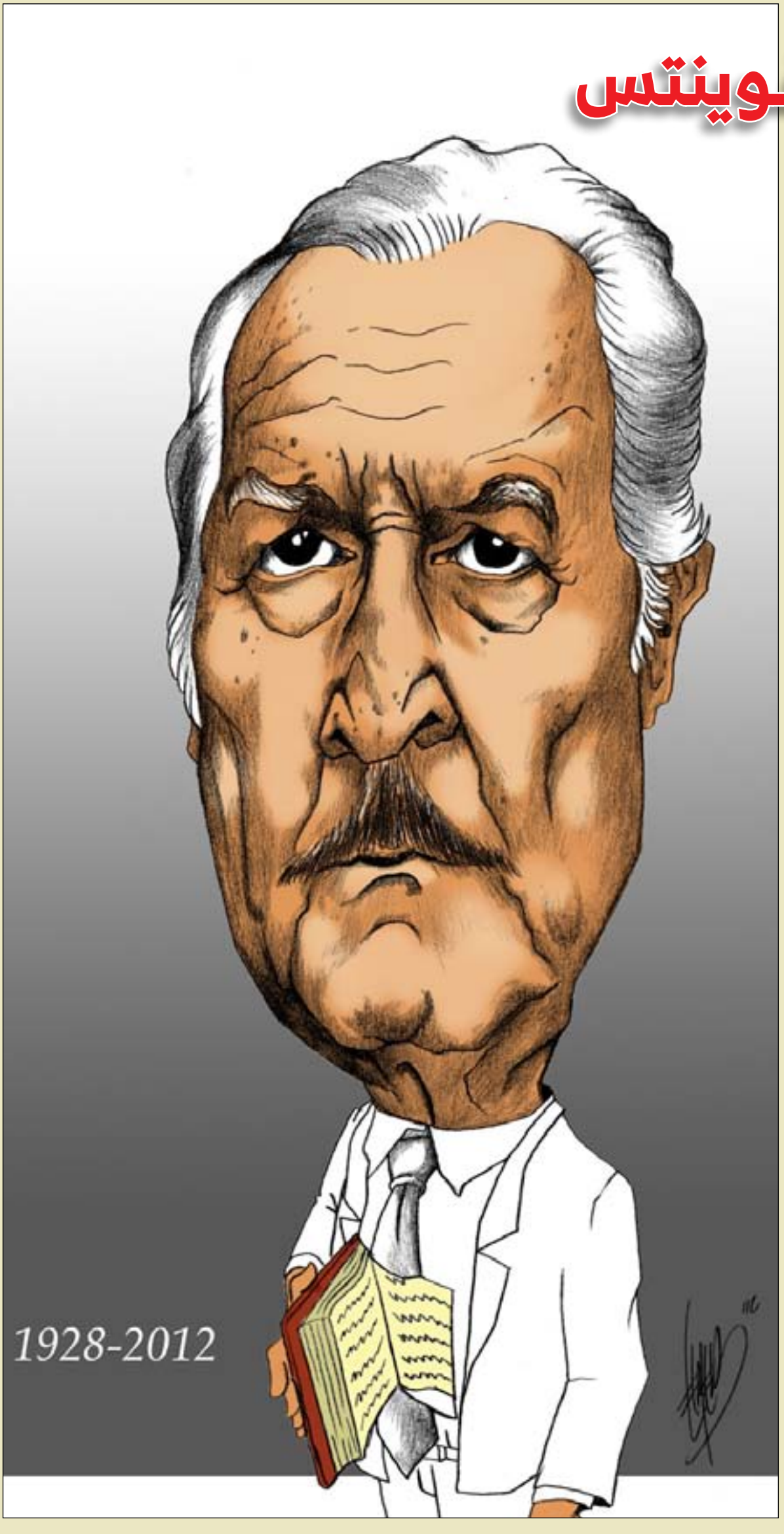

يعتـبر فوينتس أحـد أبـرز الكتـاب المرموقـين المكسيكيـين الذيـن كانوا على قيـد الحياة، وأحد أبرز كتاب أميركا اللاتينية وأكثرهم شعبية، حيث يعـود إليه الفضل هو وأقرانه من عمالقة روائيي أميركا اللاتينية في نقل أدبهم إلى العالمية.

ورشـح فوينتس مرات عديدة لنيـل جائزة نوبل للآداب، لكنه لم يفز بها.

- مـن مواليد ١١ نوفمـبر العام ١٩٢٨، في مدينة بنما سيتي (بنما)، لأبوين مكسيكيين.
- كان عمـل والده في مجـال الدبلوماسية وكثرة أسفاره، جعلته يختلط بثقافات متعددة في القارة الأميركيـة، مـا أثرت علـى حياته بعدهـا، وكانت أسرتـه ترسله في الصيف إلى جدتيه في المكسيك كي لا ينسى لغته ويتعلم تاريخ بلده.
- تابـع فوينتس دراسته في شيلي، وكانت تزخر بكبـار شعـراء القـارة الأميركية، مثـل: غابرييل ميسترال، وفسانـت هويدوبرو، وبابلو نيرودا، وقال عن تلك الأيام: «في هذه البلد كانت الكلمات حاملـة للحريـة وفيه فهمـت التحالف بـين الأدب والسياسة».
- في سـن الخامسة عشـرة انتقل إلى الأرجنتين، ورفـض الذهاب لمتابعـة دراستـه «بسبب وجود الفاشيـة العسكرية في السلطـة». في ذلك الوقت اكتشـف الكاتـب الأرجنتينـي جـورج لويـس بورخيس الذي كان تأثيره عليه كبيراً.
- حاصـل علـى شهـادة الأجـازة في الحقـوق، وبعدها ذهب إلى سويسرا لدراسة الدكتوراه.
- بعدهـا شغـل عـدة مناصـب إداريـة في بلـده المكسيك.
- سفير المكسيك لدى فرنسا (١٩٧٥ – ١٩٧٧).
- استقـال من منصبه بعدها احتجاجاً على تعيين الرئيس المكسيكـي السابق دايات أوردات سفيراً للمكسيـك في إسبانيا لمواقفـه الفاشية ومجازره التي طالت أبناء المكسيك.
- شغـل منصـب أستـاذ في جامعتـي برنستـون وهارفارد بالولايات المتحدة الأميركية.
- تميزت كتاباتـه بتأثرها بأجـواء الجدال حول هوية المكسيك وسكانها.
- عـرف بانتقاداتـه الحـادة لسياسـات الولايات المتحدة الأميركية، وخاصة المتعلقة منها بالهجرة والتي تجسدت بشكل واضح في روايته المعروفة باسم «الحدود الكريستالية».
- صـدر لـه في بداياتـه الأولى مجموعـة «الأيام المقنّعة» العام ١٩٥٤.
- مـن أشهـر أعمالـه: «المنطقـة الأكـثر شفافية»، «الضمـير الحي»، «موت أرتيميو كـروز»، «نشيد العميـان»، «منطقة مقدسة»، «عيـد ميلاد»، «منزل بابـين»، «أرضنـا»، «عائلـة نائيـة»، «كرينكـو العجـوز»، «أورا»، «كريستبـال نوناطـو»، «كل القطـط خلاسيـة»، «المـرأة المدفونـة»، «الحملـة علـى أمـيركا»، «الزمـن المكسيكـي»، و «شجـرة البرتقال».
- حصـل على العديد مـن الجوائز أهمها الجائزة الدولية للرواية «روملو كاجيكوس» من فنزويلا العـام ١٩٧٧، والجائزة الوطنية للأدب بالمكسيك العـام ١٩٨٤، وجائـزة سرفانتيـس الإسبانيـة للآداب العام ١٩٨٧.
- توفي عام ٢٠١٢